حوارات صالون الفراهيدي

إشراف وتقديم : عبدالله بن حمد بن سيف البوسعيدي

دار الشروق

حوارات صالون الفراهيدي

حوارات صالون الفراهيدى

الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

دار الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
- رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت : ص . ب : ٨٠٦٤
هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)

رسم الغلاف والإخراج:
صلاح بيصار

إهداء

إلى من أقام للعلم والمعرفة صروحاً شامخاً، أضاءت به العقول، واستنارت البصائر، وسعى إليه شعبه الوفيّ من ظلال الأشجار إلى رحاب الجامعات.

إلى المقام السامي لحضرة صاحب الجلالة

السلطان قابوس بن سعيد المعظّم

حفظه الله

أتقدّم بحصاد هذا الملتقى الفكري الأدبي، الذي نلتقي فيه حول واحد من الرّموز الخالدة لعُمان العريقة في صالون «الخليل بن أحمد الفراهيدي».

حوارات صالون الفراهيدى

الحلقة الأولى

الخليل بن أحمد الفراهيدى
وجهوده فى الدراسات
اللغوية العربية

د. أحمد هيكل
د. كمال بشر
د. السعيد بدوى
د. محمد حماسة عبداللطيف
د. أحمد عفيفى

الحلقة الثانية

الدلالات الحضارية لموسوعة
السلطان قابوس لأسماء العرب

د. على الدين هلال
د. محمود فهمى حجازى
أ. فاروق شوشة

الحلقة الثالثة

المدائح النبوية
فى الشعر العربى

د. صلاح فضل
د. محمود على مكى
د. أحمد درويش

الحلقة الرابعة

التواصل الحضارى
بين مصر وعُمان

د. جمال زكريا قاسم
د. أحمد رجب عبد الحليم
د. محمد صابر عرب
د. يونان لبيب رزق

تقـــديـم

باسم الله الذى علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم .

وعلى ضوء من تعاليم شريعتنا الغراء التى تجعل طلب العلم فريضة على المؤمن من المهـد إلى اللحد، وتجعل مجلس العلم مكافئـا لمجلس العبادة فى ميزان الحسنات .

وفى إطار التوجيهات السامية لحضرة صاحب الجلالة السلطان قابوس ابن سعيـد المعظم الذى يحتفى بـالنهضة العلمية، ويدعـم انطلاقها على المستوى المحلى والإقليمى والعربى والدولى .

يسعدنى أن أقدم حصاد الموسم الثقافى الأول الذى سعدت بطرح فكرته والـدعـوة إليـه وتنظيم فعـاليـاتـه تحت اسـم **«صـالون الخليـل بـن أحمد الفراهيدى»** .

لقد كان اختيار اسم «**الخليل**» ـ ابن عُمان وأحد رموز هذه الأمة العريقة ـ عنوانا لهذا الصـالون، اعتزازا بأصـالة الثقافة العـربية وسعة أفقها ونـزعتها الدائمـة إلى الحوار والتجديد وامتـداد جذورها إلى بقاع متنـوعة متآلفـة من الأرض العربيـة، وامتداد ظلهـا وثمارها إلى كـل أرجاء هـذه الأرض ﴿ **ألم تر كيف ضرب اللـه مثلا كلمـة طيبة كشجـرة طيبة أصلهـا ثابـت وفرعهـا فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها**﴾ .

وكـانت الفكـرة الدافعـة وراء السعى إلى إيجاد لـون من الحوار الفكـرى

الثقافى الخلاّق ، تنبع من مسئولياتنا جميعا عن إبراز مقوّم مهم من مقومات شخصيتنا العربيـة الإسلامية ، ونسيجنا الفكرى الحضارى المتنـاسق . وهو مقوم نحن دائما فى حاجة إليه .

ولكننـا الآن فى أشد الحاجـة إلى مواجهـة تحديات حضـارية تسعـى إلى الهيمنة الثقافية تحت مسميات برّاقة مثل «العولمة» قد تؤدى فى نهاية المطاف إلى محو الخصائص المميزة التى تماسكت من خلالها حضارات الشعوب على مدى قرون طويلة ، وفى مقدمتها حضارتنـا العربية الإسلامية التى ساهمت فى إخراج العالم من الظلمات إلى النور، وكانت جسرا رئيسيا بين الحضارات العريقة التى استقبلتها وتمثلتها فى وعـى وتسامح ، وبين الحضارات الحديثة التـى غذّتها وأمـدتها بمشـاعل البحـث عـن الحقيقـة والاهتداء إلى القيـم السامية .

وإذا كانت حضارتنـا تواجه اليوم بعض الاختبارات والتحـديات ، فإن الحوار الواعـى على كل مستـوياتـه هو سبيلنـا للإجـابة عـن التساؤلات ، ومحاولـة النهـوض مـن العثـرات ، وتـلافى السلبيـات ، والمحـافظـة على الخصائص والميزات .

من هنـا طرحتُ فكـرة هذا الصـالون ـ التـى كانت تـراودنى منـذ زمن طويـل ـ علّها تشكل خطوة متواضعة على الطريق .

وكانت نقطة الانطلاق من أرض مصر العـريقة ، بكل تراثها الحضارى والعلمى والثقافى ، وبكـل رموز علمائها ، ومفكريها ، وأدبائهـا ، وشعرائها الذين عبروا دائما عن وحدة المشاعر والأحاسيس والمصير فى وطننا الكبير.

ولقد كان الإقبـال الكبير والمساهمة الفعالة على مدى حلقـات الصالون

الأربع التى عقدت خلال هذه الدورة الثقافية الأولى دليلا على صحة المنطلقات وعلى حسن اختيار الزمان والمكان.

لقد طوف الصالون فى حلقاته ببعض المواقف التاريخية، والأدبية، واللغوية، والدينية. وتعرض من خلال ذلك لمجموعة من الأعلام البارزين الذين تعتز بهم الحضارة العربية الإسلامية فى تاريخها القديم والوسيط والحديث.

وكان فى مقدمة هؤلاء «**الخليل بن أحمد الفراهيدى**» الذى يعتز الصالون بانتساب اسمه إليه، والذى كان صاحب مواقف التحديد والتجديد الشهيرة فى تراثنا الأدبى واللغوى، والذى امتدت أسسه الراسخة فى كثير من فروع المعرفة حتى اليوم. بل إن المناقشات والمداخلات أثبتت صلاحية كثير من هذه الأسس للإجابة عن بعض الأسئلة المثارة فى التحدى الحضارى المعاصر، ومنها تحديات تعامل اللغة مع الحاسوب.

وكانت «**موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**» موضع الحوار فى إحدى جلسات الصالون، بما تحمله من قيمة علمية فى فكرتها المبتكرة، ومنهجها العلمى الدقيق، والتعاون الوثيق بين العلماء العرب فى إنجازها، وعلى نحو خاص علماء عُمان ومصر. وامتد الحوار إلى مدى الأثر الإيجابى الذى أحدثته هذه الموسوعة على مستوى دراسات العلوم الإنسانية فى العالم العربى، بل على مستوى حياة عامة الناس.

ثم كانت حلقة «**المدائح النبوية لدى شعراء بارزين من مصر وعُمان**» والتى واكبت شهر رمضان المعظم، وتعطرت أجواؤها بنفحات مدح الرسول الكريم ﷺ، على يد البوصيرى وشوقى، وأبى مسلم البهلانى وعبد الله الخليلى.

وإذا كانت العلاقات الثقافية المتميزة بين عُمان ومصر قد ساعدت على أن تثمر للثقافة العربية المعاصرة هذه الموسوعة الفريدة، فإن هذه العلاقات

لها جذورها التاريخية، والاجتماعية، والسياسية التى تمتد عبر قرون طويلة. وقد خصص الصالون إحدى جلساته لمناقشة هذه العلاقات من عصور الفراعنة إلى فترة الفتح الإسلامى التى وحدت بين عُمان ومصر من خلال عمرو بن العاص الذى رحل معه كثير من الأزد العُمانيين إلى مصر يحملون رسالة الإسلام وصفاء اللغة وطيبة القلب، ويمتزجون بإخوانهم فى مصر، ويتبادلون المحبة والتأثير والتأثر. وكذلك كان الشأن فى العلاقات الحديثة والمعاصرة ابتداء من القرن التاسع عشر حتى عهد صاحب الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم وأخيه فخامة الرئيس محمد حسنى مبارك.

لقد حظى الصالون فكرة وتنفيذًا بكثير من التأييد والمشاركة، كما حظيت حلقاته بجل الرعاية والاهتمام من كبار المسئولين والمفكرين، والمثقفين والإعلاميين فى كلٍّ من مصر وعُمان، فإليهم جميعا خالص التحية وعاطر التقدير.

وفى الختام لا يسعنى إلا أن أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لكل الأساتذة العلماء والمفكرين، الذين شاركوا فى إدارة الحوار، أو ببحوث قيمة، وإلى كل من ساهم معى فى إخراج هذا العمل الثقافى العربى.

والله من وراء القصد، ومنه نستمد العون والتوفيق.

عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى

القاهرة فى ١٠ من جمادى الأولى عام ١٤١٩هـ.

الموافق الأول من سبتمبر عام ١٩٩٨م.

الحلقــة الأولى *

«الخليل بن أحمد الفراهيدى
وجهوده فى الدراسات اللغوية
العربية»

راعى الافتتاح:

أ. د. عصمت عبد المجيد

الأمين العام لجامعة الدول العربية

أدار الحلقــة :

أ. د. أحمد هيكل

وزير الثقافة المصرى السابق

المتحــدثــــون :

أ. د. كمال بشر - عميد كلية دار العلوم سابقًا وعضو مجمع اللغة العربية.

أ. د. السعيد بدوى - مدير قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

أ. د. محمد حماسة عبد اللطيف - أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم. جامعة القاهرة.

أ. د. أحمد عفيفى - أستاذ النحو والصرف والعروض المساعد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة.

---

* انعقدت هذه الحلقة فى القاهرة يوم الثلاثاء ١٦ جمادى الثانية ١٤١٧ الموافق ٢٩ أكتوبر ١٩٩٦م.

« كلمة الافتتاح »

« للسيد: عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى »

الحمد لله الذى أنزل القرآن بلغة العرب ، حيث قال عز من قائل ﴿ **إنا أنزلناه قرآنًا عربيا لعلكم تعقلون** ﴾ . . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الناطق بلغة الضاد والمنتمى إلى أمة وصفها الله بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين .

معالى الأستاذ الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد : الأمين العام لجامعة الدول العربية . . راعى الافتتاح . . معالى الأستاذ الدكتور: أحمد هيكل . . رئيس الحلقة الأولى لهذا الصالون .

الإخوة السفراء . . العلماء الأجلاء . . الأساتذة الأفاضل . . الأدباء والشعراء رواد العلم وعباقرة الفكر . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

يطيب لى أن أرحب بكم جميعا أجمل ترحيب ، وأن أتقدم إليكم بخالص الشكر وعميق الامتنان على تفضلكم بقبول هذه الدعوة وحضوركم الكريم لهذا اللقاء الثقافى العربى . . كيف لا وهو يضم نخبة من العرب ومفكريهم وأدبائهم ومثقفيهم وكتابهم وصحافييهم ، يقطنون بقاعًا مختلفة جغرافيا فى

وطننا الواسع ، ولكنهم يشتركون فى اللغـة والثقافة والتاريخ والحضارة والهدف والمصير.

أيها الحضـور الكريـم . . لـن أسهـب فى الحديث عـن الخليـل بـن أحمد الفراهيدى من حيث نشـأته وحياته . . وإنتاجه وإبداعاتـه ، بل إننى سأوجز ذلك فى عبـارة واحدة «الخليل بن أحمد عُمانـى المولد ، بصرى النشأة ، عـربى الهوية والثقافة والتعليم» قال ابن خلكان فى كتابه «وفيات الأعيان» : «اجتمع الخليل وابن المقفع ذات ليلة حتى الغـداة ، فلما افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفـع ؟ قال رأيت رجـلاً علمه أكثر من عقلـه ، ولما سُئل ابن المقفـع عن الخليل قال رأيت رجلاً عقله أكبر من علمه . . » .

أما ما بقى عن شخصية الخليل وآثـاره العلمية وتراثه العظيم ، الذى حفظ لهذه الأمة لغتهـا ألا وهى قواعد النحـو والأوزان والبلاغة والصرف ــ حيث لا أساس بـلا قواعد كما يقـال . . «وهل يستقيم الظـل والعود أعوج»؟ . فـإننى سأترك ذلك للأساتذة الأجلاء ، الذين أجد لزامًا علىَّ قبل أن يتحدثوا أن أقدم لهم جزيـل الشكر وعـاطر التحيـة والتقديـر على جهدهـم الكبير، وتفضلهم بالمشاركة ببحوث مختلفة عن الخليل ، سوف تعطينا بلاشك فائدة كبرى وتثرينا بمعلومات واسعـة عن واحد من أعـلام العرب الكبار وأحد فحـول هذه الأمة العظام . . فحرى بنا أيها الجمع الكريـم أن نستلهم من ماضينا ما يفيد حاضرنا الزاهر، ونستمد من حاضرنا ما ينير لنا طريق مستقبلنا الواعد .

فكرة الصالون

أما فكرة إنشاء هذا الصالون ، فكانت مختزنة فى ذهنى لفترة ، ولكن لأسباب وعـوامل مختلفـة لم أتمكن مـن إبرازهـا إلى حيـز التنفيذ حتـى تهيأت الظـروف ووجدت التشجيع مـن أصدقاء كثيرين ، أساتذة ومثقفين وأدبـاء ومفكرين ،

يعود الفضل إليهم فى الـوصول إلى هذه النقطة . . . نقطة البدايـة التى نبدأ بها هذه الحلقة . . .

ونأمل أن نستمر إن شاء الله ، وهذا لن يتأتـى إلا بالتفاعل الذى نرجوه من كل الإخوة المشـاركين ، فهو الكفيل بدفـع هذه التجربة فى طـريقها الصحيح حتى نصل إلى هدفنا الواحد وهو «**فكر ثقافى عربى واحد**» .

ومـن هذا المنطلـق جـاء اسـم «الخليل بـن أحمد الفـراهيـدى» عنوانًـا لهذا الصالون الذى يسرنـى أن أعلن أنه سينعقد آخر يوم ثلاثاء مـن كل شهر بإذن الله .

أيها الحضور الكريم . . لابد لى أن أقدم وافر الشكر وعاطر التحية إلى معالى الأستاذ الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد على تفضله برعاية هذا الافتتاح رغم ارتباطـاته ومشاغلـه ، والشكر موصول إلى معـالى الأستاذ الدكتـور أحمد هيكل على تكرمه برئاسة وإدارة الحوار للحلقة الأولى .

ويمتد الشكر ذاته إلى الأساتذة الأفاضل د . كمال بشر، د . السعيد بدوى ، د . محمد حماسة عبد اللطيف ، د . أحمد عفيفى على مشـاركتهم النبيلة بإعداد بحوث قيمة عن الخليل .

وقبل أن أنهى حـديثى هذا ، لابـد أن أرفع خالـص الولاء والعرفـان وعظيم التقديـر والامتنان إلى **صاحـب الجلالة السلطان قابـوس المعظم** ـ حفظه الله ـ الذى هيـأ لنا نحن العُمانيين سبـل العلم والمعرفـة ويسر لنا وسائل النهـل من صنـوف المعرفـة المختلفـة لكى نكـون فاعلين ومتفـاعلين جنبًـا إلى جنب مـع إخواننا العـرب فى الفكر والثقافة والآداب والفنون أينما وجـدنا على أرض وطننا العربى الكبير.

ها نحن نبدأ اليـوم انطلاقتنا من هذه الأرض الطيبة ، ذات التـاريخ المجيد

والحضارة العريقة والتراث العظيم والفكـر المستنير والثقافة الواسعة . . . أرض مصر الغالية على قلـب كل عربى ، فليحفظـك الله يا مصرنا العزيـزة وليحفظ عُمانَنا الحبيبـة كما يحفظ بـلادنا العربيـة الشقيقة ، وليحفظ لنـا لغتنا وثقـافتنا وفكرنا وتـراثنا لكى نسهم فى حضارة الإنسـانية كما أسهم آباؤنـا من قبل ، وأن نؤثر قبل أن نتأثر بعلوم هذا العصر وفكره وثقافته .

شكرًا لكـم أيها الجمع الكـريم على حسن استماعكـم ، وأتمنى لكـم أمسية طيبة إن شاء الله .

«كلمة: أ.د. أحمد عصمت عبد المجيد »*

السيد السـفير : عبد الله البوسعيدى

الأستاذ الدكتور: أحمد هيكل

السادة السفراء ... السادة الأساتذة... السيدات والسادة.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شكـرًا جزيـلاً للسيـد السفير عبـد الله البوسعيـدى على دعـوتـه الكريمـة للمشاركـة فى افتتاح «صـالون الفراهيـدى الثقافى» وحلقتـه الأولى المخصصة للخليل بن أحمد الفراهيدى وجهوده فى الدراسات اللغوية العربية، وهو تقليد جديد وجميل نعتز به جميعًا ليس فقط لـلالتقاء بأساتذة أفاضل وبنخبة متميزة من الشخصيـات العربية المرموقـة، ولكن أيضا لتكـريم علم من أعـلام الأمة العربية، ساهم بسخاء فى دعم تراث لغتنا العربية وميراثها الحضارى الخالد.

وسوف نتعرف بعد قليل لما سيتفضل به السـادة الذين سيتحدثون عن هذه الشخصية الفـذة والتى بـرزت ـ ليس فقـط ـ فى مجال اللغـة العربيـة والنحو،

* الأمين العام لجامعة الدول العربية.

ولكنها بـرزت أيضا كمثال يُحتـذى به ، لما تتمتع بـه هذه الشخصية مـن خلق وتواضع وزهد وتقوى ، رجل يؤمن بأن الغنى فى النفس ، وليس فى المال ، رجل تخرج على يديه علماء وأئمة ومنهم سيبويه ، رجـل قيل عنه «من أحب أن ينظر إلى رجل خُلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد» .

لا أريـد أن أطيـل حيث إننـا جميعـا فى شـوق إلى التعرف لبحـوث السـادة المتحدثين ، ولكن وددت أن أسجل شكرى وتقديرى واعتزازى لوجودى بينكم فى هذه الأمسية الثقافية العربية الممتعة والتى أرجو أن تتكرر دائماً .

«كلمــة : أ.د. أحمد هيكـــل» *

معـالى الـدكتـور عصمـت عبــد المجيـد . . الأمين العـام لجامعـة الـدول العـــربيـة . . . بيـــت العـرب . . . الإخـــوة السفـراء ، والعلماء الأجـــلاء . . الإعلاميون . . والأدباء ، حضور هذا الجمـع الكريم . . أستسمحكم فى بداية كلمتى أن أتوجه بكل الشكر إلى معالى السفير عبد الله البوسعيدى الذى حقق هذا الحلـم وأنجز هذه الفكـرة الطيبة ، فكرة منتـدى لدراسة الحضـارة والفكر والأدب العربـى ، ويزيـد من شكـره وتقديـره أنه ليـس من مسئـوليته كسفير ودبلوماسى أن يهتم بـأمور الثقافة والفكر، لكن الرجل لـه أبعاد من أهمها هذا البعد الثقافى الذى انبثـق من خلاله هذا الملتقى الكريـم ، الأمر الذى يستحق عليه الشكـر والتحية والتبجيل ، ولا يفـوتنى أن أشكر حضراتكـم ، وأن أثنى على لقائكم وسعيكـم إلى هذا الملتقى لأنه ملتقـى يستحق أن نلتف من حـوله وأن نفيد منه .

يزيـد من قيمة هذا الملتقـى أن الذين سيتحدثـون فيه هم من أعـلام الفكر اللغوى على مستوى الأمة العـربية جمعاء ويمثلون مدرسة عـربية عميقة الفكر منهاجيـة السلوك معطـاءة ، ويمثلون فى الوقـت نفسه أجيـالاً، الجيل الأول : جيل الكبار ويمثله د. كمال بشر، جيل الـوسط : والذى اقترب أن يكون جيل

* وزير الثقافة المصرى السابق .

الكبار د. السعيد بدوى، جيل الشباب: وهو جيل د. حماسة عبد اللطيف، جيل الشادين مع التمكن والقوة والاهتمام بالأصالة والتراث وهو جيل د. أحمد عفيفى، كلهم على مستوى الأمة العربية أعلام... كلهم عمل فى مصر فى أرقى الجامعات.. كلهم عمل فى جامعات عربية مرموقة ولهم دراسات نعرفها وتعرفونها وسيتضح هذا من حديثهم الذى سنتلقاه بحب وشغف هذه الليلة.

شىء آخر تستمد منه هذه الندوة قيمتها العظيمة على الأقل فى مستهلها، قيمة الاسم الكبير الذى نلتف حوله «اسم الخليل بن أحمد الفراهيدى»، هذا الرجل الذى يكاد يكون ظاهرة فى الحياة العربية الثقافية وبخاصة فى المجال اللغوى، كنا نتعلم ونحن فى صدر الشباب أو يقال لنا ـ نقلا عن الذين يكتبون كتابات غير متعمقة وخاصة من «الأجانب» ـ إن الثقافة العربية الجيدة وضعها غير عرب! ويستدلون على أن أول كتاب أُلف فى النحو هو كتاب سيبويه، وسيبويه مع قيمته العظيمة كعالم ليس بعربى.

وقد اتضح أن الخليل بن أحمد هو أستاذ سيبويه، وأن ما جاء به سيبويه فى كتابه الذى هو أول كتاب فى اللغة العربية أو فى قواعدها استقى معظم مادته من الخليل بن أحمد الفراهيدى، نستطيع أن نقول إن واضع النحو فى شكله البنائى المتكامل تقريبًا هو الخليل بن أحمد الفراهيدى العربى، العُمانى المولد، البصرى النشأة، العربى الثقافة.

الخليل بن أحمد لم يكن نحويا فقط ـ ولن أطيل لأنه سيتحدث فى هذا الموضوع أساتذة أفضل منى ـ فقد اخترع علم العروض الذى يوشك أن يكون معجزة فى الثقافة العربية، وتتبع الشعر العربى كله فى الجاهلية والإسلام واستنبط البحور الشعرية وقننها وقعدها بشكل غير مسبوق فى أية ثقافة وأية لغة أخرى، بالإضافة إلى هذا بدأ علم المعاجم ووضع أول معجم فى اللغة

العربية وهو كتاب «العين» ، وكان يعرف الرياضة معرفة دقيقة ، يعرف الألحان والموسيقا معرفة طيبة ، وكان متصلاً بما تُرجم عن اليونانيين فى هذين الفنين .

فهو رجل مفكر عربى لغوى ، يتصل بالثقافة المعاصرة وله اتصال حميم ووثيق فى مجال الرياضيات والموسيقا وعلم النغم والفلسفة والمنطق وما إلى ذلك ، وهو أولاً وأخيرًا عربى المفخرة بدأ أهم العلوم العربية «النحو والمعاجم والعروض» . . تحية له ولروحه الطاهرة ، ونسأل الله أن يسكنه فسيح جناته ، وأن يجزيه عن الأمة العربية جزاءً أوفى ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

بعد هذا لا أطيل على حضراتكم ، وأبدأ بأن أقدم السادة المتحدثين الذين قلت إنهم أعلام فى مصر والأمة العربية ومتخصصون أعظم تخصص فى مادتهم ، نبدأ بالأستاذ الدكتور كمال بشر الذى دار فى كل البلاد العربية تقريبا ناشرًا علمه وفضله وبحوثه العميقة ، التى جمع فيها بين الدراسة العربية الأصيلة وما قاله الأجانب فى لغتنا وفى البحوث اللغوية على وجه العموم .

كتاب «العين» للخليل بن أحمد وموقعه فى آثار الدارسين»

أ.د. كمال بشر*

«هذه الليلة تـذكرنا بماضٍ عميق عريـق وأعنى بذلك الأسـواق الأدبية مثل عكاظ والمربد، هذه الأسواق العربية كانـت نقطة بارزة فى تاريخ العرب ثقافة وعلمًا وأدبًا، كبـار الأدباء. . كبـار الشعراء . . كبـار القوم يجتمعـون فى مكان واحد يناجى بعضهـم بعضًا بإنتاجه العلمى والثقـافى، وقد أدى هذا إلى شىء مهـم فى قضيتنا تلـك، وهـو أن كـل متكلم كـان يحاول أن يتكلـم بـالعربيـة الفصحى أو الفصيحة أو المشتركـة متخلصًا من اللهجات، وقـد أدى هذا إلى تشكيل لغة عـربية فصيحة تعم الـوطن العربى كلـه ومازالت بيننا حتـى هذه اللحظة على الرغم مـن أنها تحارب هنا وهناك، فهذه الندوة بدايـة طيبة لإعادة هذا التاريخ العريق، وأرجو أن تستمـر مثل هذه الندوات فى هذا المكان وغيره مـن العالم العـربـى، حتـى نتخلص مـن الـزاعقين المتصـايحين بالعـاميـات واللهجات على أساس أنها متفاعلة مع الجماهير فى حين أن الفصحى فى رأيهم بعيدة منعزلة ، نعم هى منعزلة لأنهم هم الـذين عزلوها، اللغة لم تعزل نفسها بينما هـم الذيـن عزلـوها، وأستبشر بهذه النـدوة ـ وليتهـا تستمر ــ فى قضايـا

* عميد كلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة (سابقا) وعضو مجمع اللغة العربية.

التراث، التراث بالذات، بنظرة حديثة حيادية لا تعصب فيها، ومن هنا نبدأ ونقول:

بسم الله الرحمن الرحيم . . إننى لأشكر معالى السفير عبد الله البوسعيدى على هذه اللفتة الطيبة، كما أشكر معالى الدكتور عصمت عبد المجيد أمين عام جامعة الدول العربية أو «بيت العرب»، كما أشكر د. أحمد هيكل على المقدمة الطيبة التى قدمنى بها ـ وإن كنت لست طاعنًا فى السن! أنا طاعن سنا فى العمر غير طاعن فى القلب والفكر ـ وأشكر جميع الحضور.

الواقع أن اختيار الخليل بن أحمد الفراهيدى بداية لهذه الندوة اختيار موفق إلى أقصى حد، لأن البعض اختلف فى جنسية الخليل بن أحمد أو فى نسبه، وقد تتبعت هذا الأمر تتبعًا عميقًا واسعًا عريضًا ووصلت إلى أنه عُمانى من بطن فرهود المنتسبة إلى قبيلة «الأزد» . . أزد عُمان وهى قبيلة معروفة، ولكن الشهرة أنه بصرى والسر فى هذا هو أنه نشأ فى البصرة، وأقام فيها تلميذًا على شيوخه كما أقام فيها شيخًا للمدرسة البصرية، فاشتهر أنه بصرى لكنه فى حقيقة الأمر من حيث الدم والنسب الحقيقى هو عُمانى . . وهذه نقطة حُسمت الآن، وأشار إليها أكثر من مرجع موثوق به حتى فى المراجع الأجنبية.

هذا الرجل غريب ويجب أن نعلم أنه من العلماء القلائل الذين هم عرب خلص، وهذا يجرنا إلى قضية تأثيره فى سيبويه، أنا لا أعد سيبويه فارسيا، هو فارسى بالدم ولكنه عربى بالثقافة والنشأة، وفى رأينا أن من تعلم العربية وحصل على الثقافة العربية هو عربى، وهكذا كان سيبويه. هذه نقطة، النقطة الثانية كما قال زميلى د. أحمد هيكل أن المادة الأساسية فى كتاب سيبويه من صنع الخليل، ولا أقصد بالصنع الكتابة، وإنما من علمه حين كان يشرح لتلامذته وعلى رأسهم سيبويه.

النقطة الأخرى أن هذا الرجل فريد فى كثير من الأشياء، فريد بمعنى الكلمة هو فريد فى الحقل اللغوى، فريد فى علم الأصوات، فريد فى النحو، فريد بشكل واسع معروف فى علم العروض، وهذه قضية كبيرة، سأركز الكلام على بعض النقاط البارزة فى أعماله اللغوية، وبخاصة فى المعجم «معجم العين».

إن هذه الندوة انطلاقة جديدة لتجميع الفكر، وأعلم أنه لا وحدة للعرب دون وحدة الثقافة، ما لم تكن هناك بنية ثقافية موحدة فى الثوابت والجوهريات. . لا وحدة . . لا سياسيا ولا علميا ولا اجتماعيا، الثقافة أولا. . ولا أقصد بالثقافة تحصيل العلم واستيعابه بل أقصد بها أنماط السلوك، أنماط السلوك فى العالم العربى عجيبة جدا، انظر فى الملابس فى أى شارع عربى! تجد أنها أنماط متغيرات مختلفات، وانظر إلى الناس وهم يأكلون، أنماط مختلفات فى أنواع الطعام . . وهكذا . . إذن لابد من بداية وأن توحد الأفكار والثقافات قدر الإمكان. إننى سعيد بهذه الندوة التى وجدت قبولاً كبيرًا منى لأننى أدعو إلى وحدة الثقافة عن طريق وحدة اللغة، هذه هى القضية.

كتاب «العين» للخليل بن أحمد سُمى كذلك لبدء المادة اللغوية فيه بصوت العين، أما ما يُقال فى بعض الأوساط العربية إنه سُمى كذلك، لأنه صنع فى مدينة العين بالإمارات، فقد تحققت أن الأمر ليس كذلك، لأن مدينة العين سُميت بهذا لأن فيها عيونًا، وقد زرت تلك العيون ورأيتها بعينى.

ما الذى صنعه الخليل؟ الخليل كان فريدًا فى عمله ومنهجه أراد أن يأتى بنظام لم يُسبق إليه، أراد أن يجمع كلمات العرب جميعًا فى مكان واحد مسماة بهذا الاسم «العين»، وكان المفروض أن يصنع معجمه على نظام الألف باء العادى الذى صنعه نصر بن عاصم، ولكنه اتبع الترتيب الصوتى الذى رآه هو.

ولا مانع من أن نشير إلى نقطة بادئة فى الفكر الصوتى عند العرب قبل الدخول فى أعمال الخليل فى هذا الباب . . . أنتم تعلمون أن أبا الأسود الدؤلى هو الذى وضع علامات الشكل أو الضبط بالنقط ، وكان لذلك قصة ، يُروى أنهم سألوا أبا الأسود أن يصنع شيئًا فى هذا الشأن محافظة على كتاب الله من اللحن والتحريف ، فأبو الأسود أول الأمر قال لا أضع فى كتاب الله ما ليس من كتاب الله ، قالوا : فأجلسوا له رجلاً فى الطريق يقرأ القرآن بصورة خاطئة ، فقرأ هذا الرجل قوله تعالى : « إن الله برىء من المشركين ورسوله» بكسر اللام من رسوله ، فكأنه قال إن الله برىء من المشركين وبرىء من رسوله .

ففزع أبو الأسود وقال أحضروا الكتبه فأحضروا له جماعة منهم ، فاختار مَنْ اختار وقال لهم : سأقرأ القرآن ، فإن فتحت فمى بالحرف فضعوا نقطة فوقه ، وإن كسرت فمى فضعوا نقطة تحته ، وإن ضممت فمى فضعوا نقطة فوقه على شماله . . . وهكذا وضع أبو الأسود هذه النقاط للدلالة على الحركات القصيرة فى اللغة العربية ، وهى الفتحة والكسرة والضمة ، وواضح أن هذه التسمية للحركات إنما روعى فيها وضع الشفاة عند نطقها ، ومن اللافت للنظر أن حسبان وضع الشفاة معيارًا من معايير الحركات مبدأ مأخوذ به متبع الآن فى كل الدراسات الصوتية الحديثة ، والمعروف أن الحركات فى أية لغة تخضع لمعيارين فى التصنيف هما :

الأول : وضع اللسان فى الفم .

الثانى : وضع الشفاة .

انتهى دور أبى الأسود عند وضع نقط الشكل ، لكن الحروف لم تكن منقوطة ، فالحرف الذى نكتبه على شكل الباء كان يصلح باءً تاءً ثاءً وياءً ونونًا ، وعلى القارئ أن يخمن المعنى أو النص بذوقه اللغوى ، فطلب الحجاج

ابـن يوسـف من نصر بـن عاصـم أن يصنـع شيئًا، فـوضع مـا سُمى «نقـط الإعجام» أى إزالة العُجمة وهى من أعجم بمعنى أزال العُجمة، ومنه المعجم يعنى المكـان الذى يـزيل العُجمة، فـوضع النقاط للبـاء نقطة تحتهـا، وللتاء نقطتان وللثاء ثلاثة . . إلخ، والجيم والحاء والخاء وهكذا .

إذن هنـاك نوعـان مـن النقط : نقـط الشكل ووضعـه أبـو الأسود، ونقـط الإعجام ووضعه نصر بن عاصـم، والسؤال كيف نفرق بين (النقطين)؟ . . . قالوا نكتب إحـداهما بلون والآخر بلون ثان وسار النـاس على ذلك فترة، حتى جاء هذا العبقرى : الخليل بن أحمد ماذا صنع؟ استمع . . . «وجد أن فى اللغة العربية أصـواتًا هى حركات طوال عـلامتها الألف والواو، و الياء، فـالمسألة بسيطة فأسماها أصوات المد واللين، ونسميها الآن الحركات الطوال، ثم تذوق الحركـات القصـار «أ . إ . أ» فقال إن مـا نسميـه الفتحـة هو نصـف الألـف، والكسرة نصف الياء، والضمـة نصف الواو، ومن ثم قـال «اعلم أن الحركات ثلاث وأن الحروف ثلاثـة والحركات أبعاض حروف المد واللين نطقًـا، ومن ثم وجب أن تكـون نصفها كتابـة»، ومن هنا أخذ الألـف وكسرها وأقعدهـا فوق الحرف بمعنى أن الفتحة التى هى فوق الحرف نصـف الألف والحركة التى هى تحت الحرف «الكسرة» نصـف اليـاء، وقـد يتسـاءل بعضهـم مـن أيـن جـاء بالياء . . إنها اليـاء القديمة التى تجدهـا حتى الآن بالمصحف، فـأخذ نصفها ووضعها تحت الحرف، والعـلاقة بين الضمـة والواو، أن الأولى واو صغيرة . . عمل عجيب وعظيم .

لقد أدرك أن الحركات القصـار أنصاف الحركات الطوال، بمعنـى أن هناك اتفاقًا فى القيمـة الصوتية والفرق فى المد بمعنـى هذا قصير وهذا طويـل، هذا شـىء صنعـه الخليـل فى بـدايـة الأمر، وانتقـل إلى أشيـاء أخـرى ليس هـذا وقتها، الوقت الآن مخصص للمعجم .

المعجم فى ذاته أمره سهل يعرفه الطـلاب العاديون ، لكن القضية فى مقدمة المعجم ، لقد صنع فى هـذه المقدمة صنعًا لا يُعقل أن يفكر فيـه إنسان فى هذا القرن الذى عـاش فيه الخليل ، عمل أكثر من رائع وعبقـرى ، أول نقطة فعلها أنه أراد أن يأتى بنظام لترتيب الأصوات العـربية لم يُسبق إليه ولم يعجبه ما فعله نصر بن عاصم وزميله يحيى فقال «سأبدأ بتذوق الأصوات نطقًا وأبدأ بأعمقها مخرجًا» وهداه فكره . . . وهنا اتبع طريق التجريب بناء على الملاحظة الذاتية ، ووجد أن أعمـق الأصوات نطقًـا صوت العين ، هذا البـدء بالعين يختلـف فيه النظر لأن العين ليست أول الأصـوات نطقا وإنما أولها الهمزة؟ ، قال السيـوطى فى مزهـره قال ابن كيسـان «سُئل الخليل لِم لمْ تبدأ بـالهمزة؟ الهمزة مـن الحنجرة والعين من الحلق والحنجرة أعمـق من الحلق ، قال الخليل «لم أبدأ بـالهمزة لأنه يعتريها نقص وتخفيف وتغير وتسهيل» ، سئـل لِم لمْ تبدأ بالهاء؟ . . . « لأن الهاء أخت الهمزة فى المخـرج مع اختلافهما فى الصفات» ، فقـال «لأن فيها (ههة)» وهذا صحيح ، قال «ونزلت إلى الحيز الثانى فوجدت فيه العين والحاء فاخترت أنصع الحرفين وهـو العين فبدأت به» ، إنـه عمل أكثر مـن عجيب فى عصره ، قـال أحد الألمان «إن اللغـة العربيـة كـان ينبغى أن تسمـى لغة العين لا لغـة الضاد» ، وهو صحيح ظاهريا لأن صوت العين صوت قوى لجأ إليه العربى فى البادية .

النقطة الأهـم أن الخليـل عندما رتب الأصوات رتبهـا مخرجيا «العين ـ الهاء ـ الحاء» حتى وصل إلى الباء والميم ، فى هذا الترتيـب وجهات نظر ، وعندما جاء سيبويه أتى بترتيب أجود من ترتيب الخليل وإن كان من تعاليمه .

المهـم . . نحـن فى علـم اللغة الحديـث نفـرق بين صنفين مـن الأصـوات «الأصوات الصامتـة» ، «الأصوات الصائتة» ، وقسمها هو بطـريقته الخاصة ، ولما انتهى من ذكر الصنف الأول قال « وهذه هى الحروف الصحاح» ، ثم ذكر

الحروف : الألف والواو والياء وأضاف إليها الهمزة، وقال «أما الصحاح فلها أحياز ومخارج أما هذه فهى هوائية» .

فى الحديث حين يفرق باحث بين الصوامت والأصوات الصائتة يلجأ لمعيارين : الأول كيفية خروج الهواء والثانى وضع الأوتار الصوتية ، الهواء فى حالة الحركات حرا طليقًا لايقف فى طريقه عائق ، الأصوات الأخرى بها عائق ، وهذه الحركات الصوتية عبر عنها الخليل بأنها هوائية ، أى أن هواءها ينسل دون توقف أو احتكاك أو تعثر فى المخارج ، أى أن الحركات ، وخاصة الأساسية منها لا يقف فى طريق هوائها عائق ، وقال الخليل ذلك منذ عدة قرون أى هى هوائية ومن الحروف .

أما موضوع الهمزة فإن الهمزة ما تزال حتى هذه اللحظة مشكلة فى اللغة العربية ، لدرجة أنه تكتب همزة الوصل وتترك القطع وهو شىء عجيب .

كانت هناك قبائل تنطق الهمزة وأخرى لا تنطقها ، احتار الرجل هل تُحقق أم لا؟ والحجازيون لا ينطقون الهمزة ، وجاءت الهمزة فى القرآن الكريم مع أن القرآن كما قيل جاء على لغة قريش ، والقرشيون حجازيون وتحقيق الهمزة لغة بنى تميم ، أقول جاء القرآن باللغة العربية العامة لغة قريش ، واختار لغة قريش ليس لأن النبى منهم بل لأنها الأعم والأشهر والأفصح والأكثر تماسكًا وقوة ، لأن القوم أصحابها كانوا أصحاب عزة . .

نعود إلى المعجم . . ماذا صنع هذا المعجم فى الحياة الثقافية اللغوية فى العالم العربى؟ ، لقد كان الانطلاقة الحقيقية للدراسات الصوتية ، منه أخذ رجال القراءة والنحو وكل من تعرض للدراسات الصوتية التى سُميت بالتجويد فى فترة ، ثم انتقلت إلى اللغويين وعلى رأسهم ابن جنى الذى طور ما فعله الشيخان الكبيران «الخليل وتلميذه سيبويه» ، وذلك عن طريق المقدمة ،

وصارت لـدينا دراسة صـوتية فى التراث العـربى لها قيمتها ، ويمكـن أن تقف على قـدميها إذا عـرفنـا أنها تضارع بعـض مـا يجرى فى العلم الحديـث الآن ، ويكفى أنهم فعلوا ذلك فى هـذا الوقت السحيق من الزمـن ، أما المعجم نفسه فقد بنى على أسس ثلاثة :

* الأول : ترتيب الأصوات مخرجيـا عكس ما كان متوقعًا ، وهـو ترتيبها على النظام الذى صنعه نصر بن عاصم ، وخصـص الخليل فى كتابه «العين » كتابًا داخليا لكـل حرف ، فكل ما يشتمـل على حرف العين جاء فى جـزء ، وهكذا الحال فى بقية الحروف حتـى وصل للبـاء والميم ، وهذا أسـاس من أسـس هذا المعجم وهو الترتيب الصوتى وترتيب المادة وفقًا لهذا الترتيب .

* الثانى : اعتمد على البنية وهـو تشكيل الكلمة من أصـوات معينة ، فبدأ بالثنائى ، الثنائى المضعف ، الثلاثى المعتل ، اللفيف ، الخماسى . . . إلخ .

* الثالث : فكرة التقاليب أى أن تقلب الأصل الـواحد على وجوهه ، فمثلاً كتب يمكـن أن تصنع منهـا ست صيغ : كتـب . كبت ، تكـب . . . إلخ . . الكلمة الثلاثية نحصل منها على ست صيـغ ، وفى الرباعية نحصل على أربع وعشرين ، وهكـذا صنع الخليـل هذا المبـدأ لغرض فى نفسـه ، أراد حصر كل كلمـة ممكـن وجـودهـا أو استعمالها ، ولهذا نجـد فى الكتـاب المصطلحين «مهمـل» ، «مستعمل» ، بمعنـى أنـه وصل لكـل الإمكـانـات ولكن بعـض الإمكانات استعمل فعلاً وبعضها لم يُستعمل .

لقد كان رائدًا لأعمال معجمية عظيمة كالمقياس لابن فارس ، والجمهرة لابن دريد ، كـل هذه المعجمات اتبعته ومعجمات أخرى مهمـة كالبارع والتهـذيب للأزهرى ، وكل مبدأ من هذه المبادئ خلق مدارس مهمة فى صنع المعجمات ،

لكن الأســاس الثالــث انتقل إلى اللغويين الخلـص وإلى البلاغيين أيضًـا وهو التقاليب .

ابن جنـى طور هـذه الفكرة وأدخل فيهـا ناحية دلاليـة وهى ربـط الصيغ المختلفـة بعضها ببعـض وإعادتها إلى معنـى عـام واحد، وهنـا ظهرت فكـرة الاشتقاق ولكن ابن جنى ربط بين هذه الصيـغ والمعانى فى كتابه «الخصائص» وهى دراسة تستحق أن تصنع فيها دراسات علمية .

تلك نقاط رئيســة لصنع هذا الشيخ فى مجال الأصوات والمعجـم . أما بقية المجالات فليس من شأنى التحدث فيهـا الآن ومعى هؤلاء الكبار من الأساتذة الذين يستطيعون أن يضيفوا أو يجددوا أو يأتوا بجديد .

«الجمع الرياضى لمفردات اللغة العربية عند الخليل بن أحمد»

أ.د. السعيد بدوى *

على كثرة ما يقال عن الخليل وكثرة ما كتب عن العروض والنحو والصرف والاشتقاق، لا يزال الخليل لغزًا فى الدراسات العربية، لا نستطيع أبدًا أن نفهم كيف استطاع فى تلك الفترة فى الماضى أن يقدم ما قدم، إذا أخذنا مجتمع البصرة فى ذلك الوقت والمعارف التى كانت موجودة فى البصرة والثقافات التى كانت تموج فيها، وتخيلنا الصلات مع التراث الهندى بالذات ثم قارنا ما قدمه الخليل، نجد أعجوبة بجميع المقاييس، بالطبع الإنسان لا يحب الألغاز ويسارع المؤرخون للقول: «إن الخليل استقى هذه المعلومات من غير المعين العربى»، وهذه مسألة معروفة، فنحن فى مصر عندنا نتعجب من وجود الأهرامات، ونجد أننا لا نستطيع أن ننسب هذا إلى حضارة على الأرض، نذهب إلى المريخ ونقول: إن المصريين نزل إليهم ناس من المريخ وعلموهم ما تعلموا، هذا ممكن ونحن نتعصب للعربية لأن العلم شركة بين الإنسان.

إذا أخذنا ما قدمه الخليل وقارناه بالمعلومات التى كانت موجودة لدى الهند والإغريق، وخاصة فى عمل المعاجم، سوف نجد أن هناك فرقًا كبيرًا جدا بين

---

* مدير قسم اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة.

ما قام به الخليـل وما كان يؤديه علماء المعاجم فى هذه الحضـارات، لدرجة أننا نرى الباحثين الآن فى الغـرب لهم السيطرة والقوامة على العلم اللغـوى وخاصة فى المعاجم، لأن علم المعاجم قد نُزع مـن أيدى العرب . . إذا قارنا ذلك نجد أن الفهرسة مثلاً فى المعاجم لدى الإغريـق كانت بالشعر، ولم يكن هناك نظام للفهـرسة بهذا المعنـى بـالأصوات كما قـال د. بشر، وهـو كلمات موجـودة فى منظومات، لا تستطيع أن تعثر على كلمة أردتها، إذ لابد وأن تراجع المنظومة، مثل ذلك كان موجودًا بالهند، وهى مسائل كانت مقررة ومقننة.

إذن موضوع الأخذ عن غير المعين العـربى لا تفسر المعجزة، الخليل لم يترك كتابًا، والعروض الـذى كتبه وتعب فيه وصلنا على يد عـالم آخر، النحو الذى تعب فيـه وصل على يد سيبـويه، معجم العين لم يكتبـه الخليل بل هـو وضع الإطار فقـط «الإطار الذهنى» وهـو ما أريد الحديـث عنه، ولكن قيل إنـه قد أملى بعده، ما هى قضية جمع المفردات؟

لابـد من العـودة بعقلنا وأفكـارنا وخيـالنـا إلى حقبة لم يكـن هناك معجـم مكتوب، مـن السهل وضع قـواعد للغـة العربية «الصرف»، ولكـن المفردات لأنها مفردات ليـس بينها عـلاقة وتسير فى المجتمـع حرة طليقـة، مثلاً عملنـا معجماً عن اللغة المصرية فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وكان علينا أن نجمع من أفـواه الناس الكلمات التى يستخدمـونها، لأنه لا يوجد معجـم يمكن أن ننقل منه كما يحدث الآن، فوضعنا فى موضـع الخليل لنرى حجم العملية التى قام بها الخليل.

الخليل أول شخص فى تاريخ الإنسانية ـ وهذه ليست مبالغة ـ قرر أن جميع كلمات اللغة سواء فى الأهمية، (قبله كانت تجمع مجموعات) ويرى أنه يريد أن يجمع جميـع كلمات اللغة دون أن ينـد عنها كلمة واحـدة، كيف يمكـن عمل ذلك؟ . . . لو طلبت من أحد الدارسين أن ينزل للشارع ويجمع كلمات الناس

التى يتحدثون بها، مـاذا يفعل؟ . . . إذا تصورنا عالم أسماك أو بيولـوجيا يريد معرفة أنـواع الأسماك الموجودة فى بحيرة ناصر * مثلاً، تذهـب السفينة وتقسم البحيرة لمربعات وتلقى الشبكـة ونأخذ النتائج مثـلاً ٣٠٠ سمكة، فنجد أنها ستعطينا ١٥ صنفًا، ربما إذا ألقينا الشبكة مـرة أخرى قد نحصل على أصناف أخرى . . . الطـريقة التى ابتكـرها الخليـل على غير مثال ولم يستخدمهـا أحد بعده لأنها لم تُفهـم، وحتى هذه اللحظـة فإن الـدارسين العرب وكل مـن جاء بعده لم يفهم الطريقة.

الطريقـة التى استخـدمناها فى معجمنـا فى مصر، أن نقسم الأنشطـة التى يقـوم بها المجتمع المصرى إلى منـاطق، محامـاة، قضـاء، سجون، الجامعـة، مهارات، صناعات، ثم قسمنا هذه إلى أقسام أصغر فأصغر، حتى انتهينا إلى حوالى ٧٥٠ نشاطًا.

وهذه الأنشطـة، وكل نشاط يستخدم أهلـه كلمات معينة فنرسل لكـل فئة فردًا يجمـع الكلمات بجهاز تسجيل، ويعـود لوضعهـا فى الكمبيوتر لفهـرسة الكلمات وجمع الكلمات الخاصة، ثـم نرسل فردًا آخـر يجمع من نفـس المكان ويعود، ثم جمع الكلمات بهذه الطريقة.

الخليل بـن أحمد «لا يستطرد. . هـذه الطريقة لا تضمـن الوصـول لجميع الكلمات» ولأنه ريـاضـى ـ ولا تدرى كيف فكـر فى هذه المسألة ــ وله نظير فى الحضارة الإيطاليـة هو مايكل أنجلـو والذى ترك إسكتشات وُجـد فى أحدها رسم كامل للطائرة المروحية وطبعًا لم يكن مَنْ بناها عملها على غير مثال.

الخليل قرر أولاً أن كلمات العـربية تتكون من أربع كميات (حـرفان ثنائى ـ ثلاثة حروف ثلاثى ـ أربعة حروف رباعى ـ خمسة حروف خماسى) أخذ حروف

* بحيرة فى أسوان بجنوب مصر.

الأبجدية العربية وقال إنها ٢٩ حرفًا ، وأخذ الثنائى مثلاً وقال فى الثنائى مكانان ، الحروف الـ ٢٩ من الممكن أن يكون كل حرف منها الأول فى الثنائى أو المكان الثانى وضرب هذا فى ذلك ، فكانت الصور التى لا يمكن أن تتخلف «التباديل والتوافيق» ، ثم ضرب ٢٩ × ٢٩ × ٢٩ فكان الثلاثى وهكذا الرباعى والخماسى ، وقال «هذه هى الصور العقلية الحسابية التى لا يمكن أن يتخلف منها إذا أخذت الحروف الـ ٢٩» ثم قال «الباقى أن أجد من ذلك المستعمل والمهمل» .

قال الليث تلميذ الخليل « كنت أزور الخليل فقال لى يومًا : لو أن إنسانًا قصد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله لاستوعب فى ذلك جميع كلام العرب وتهيأ له أصل لا يخرج منه شىء ألبتة» ـ وهذه فكرة غريبة عن كل المجتمعات الإنسانية فى ذلك الوقت ومازالت غريبة عن بعض المجتمعات ـ فقلت له «كيف يكون ذلك»؟ قال « يؤلفه على الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى ، فإنه ليس فى كلام العرب أكثر منه وهو الخماسى» ، قال الليث «فجعلت أستفهم ويصف لى فأختلف معه فى هذا المعنى أيامًا ثم اعتل وحججت ، (فمازلت) مشفقًا عليه وخشيت أن يموت بعلته فيبطل ما كان يشرحه لى ، فرجعت من الحج وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما هى فى هذا الكتاب» .

إذن هو عمل الهيكل ولم يملأ هذا الهيكل ، حيث إنه فى ذلك الوقت كان قد بلغ السن .

ما سأقوله نقلاً عن حمزة الأصفهانى فى كتابه «الموازنة» فيما نقله عنه المؤرخون «ذكر الخليل فى كتاب «العين» إن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع الثنائى والثلاثى والرباعى والخماسى من غير تكرار اثنا عشر» ، أى ٥٠٤ , ٣٥٦ , ١٢ مليون ، وهذا العدد غير حقيقى بل وهمى مما

يرجح أن العمليـة لم تُفهم ، والرجل يقـول إن الثنائى ٧٥٦ (٢٨ × ٢٧) ولكن الحقيقة لو ضربنا ٢٩ × ٢٩ نصل إلى عـدد لم تتمكن منه آلتى الحاسبة (٥٦٦ بليونا تقريبًا) .

المشروع لم ينجـح لأن الخليل لم يمـلأ المعجـم ولم تفهم النـاس مـاذا يريـد الخليل ، ماتت الفكرة مع الخليل لأنها لم تُفهـم ، لقد كان الخليل من العبقرية وسبق عصره بقـرون سنوات ضوئيـة لدرجة أنـه تسبب فى وقف عمليـة التطور للدراسات العـربية (النحو والصرف والعروض وعمل المعاجـم)، لقد حدث نوع من الدهشة والصدمة الحضارية ، كل الناس يتكلمون عن الخليل العبقرى لكن لا يقولون لك كيف هو عبقرى ، وفرق أن تتكلم عن عبقرية العبقرى من الخارج وأن تشرح لنـا كيف هـو عبقـرى ، وكى يتحقـق ذلـك لابد وأن تفهـم وتُفهم ، والخليل لم يُفهم .

«عبقرية الخليل بن أحمد فى استنباط العروض»

أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف *

الخليل بن أحمد كما استمعتم الآن عبقرى حقيقى، والعبقرية شىء عظيم وهى تتجلى فى أكثر من مظهر، والمظهر الذى سأتحدث عنه الآن مرتبط بهذه العبقرية ولا يبتعد عنها، ولابد أن يكون هناك اتصال بين هذه التجليات التى تكون دليلاً على عبقرية فذة .

عقل الإنسان واحد وعندما يُبدع فى مجالات شتى لابد أن يكون بين هذه المجالات علاقة واضحة قوية، تكلم السابقون جميعًا من كل الطبقات عن الخليل، وكلهم يصر أنه مبتدع علم العروض ولم يسبقه سابق ولم يصنع ما صنع على مثال سابق، وإذا كان الخليل قد سُبق فى مجال النحو فإنه لم يُسبق فى مجال العروض، ولذا فإنه متخذ من العروض مقياسًا لعبقريته الفذة لأنه لم يُسبق إلى هذا المجال على الإطلاق، لا أريد أن أحدثكم عن علم العروض أو شرح مبادئه، لكنى أحاول أن أفهم بين أيديكم سر هذه العبقرية المتفردة التى لم يُسبق إليها الخليل والتى ظلت باقية حتى الآن .

---

* أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

من الأمـور التى ينبغى أن نعـرفها أن العـلماء فى ذلك العصـر لم يكـن من همهم أن يؤلفوا كتبًـا ، بل كان من همهم أن يصنعوا طلابًـا ، ولقد صنع الخليل طلابًا وهـؤلاء هم كتبه الذين سجلوا بعـض ما قاله الخليل ، كما رأينـا فإن هم الخليل كان أن يحصر العربية وأن يجمع شواردها ، وهذه العملية الحصرية لابد أن تُنبئ عن عقلية رياضية ولذلك قيل عنه إنه كان رياضيا ، هذا الحصر تمثل فى جـوانب مختلفـة أولها كما تفضـل وأوضح أ . د . السعيـد بـدوى فى مسألـة كلمات اللغة التـى منها مـا هو مستعمل ومـا هو مهمـل ، هذه الفكـرة «فكرة الحصر» فيما أظن هى التى دفعته إلى أن يحصر الشعر العربى وقواعد وزنه .

كل القـدماء قالوا إن الخليـل ابتكر علم العـروض باستثناء عالم واحـد هو أحمد بن فارس ، الذى يعتقد أن علم النحو والصرف والعروض وغير ذلك من العلوم ، كـانت موجودة فى فترة مـا ثم طُمرت ، فـأتى الخليل فأعـاد استخراج هذا العلم المطمور فى العروض كما أعاد أبو الأسود علم النحو . . . إلخ ، لكن هذه الفكرة مـرتبطة بفكرة أخرى ، وهـى أن كل العلم وكل مـا لدى البشر إنما هو وحـى من الله تعالى علمه للبشر عنـدما علم آدم الأسماء كلها ، ولـذلك لم تجد هذه الفكرة قبولاً أو رواجًا أو تدليلاً علميا صحيحًا . . . ويبقى أن الخليل رجل مبتكر ومخترع ومستنبط .

هذه الأمـور التى تدور حـول الشعر تعنى أن الشعـر كان موجـودًا بجميع أوزانـه « البحر الطـويل ، البسيـط المديـد ، الخفيف . . إلـخ» ، لكنه لم يكـن معروفًا بـاسم ، فهذا لون مختلف عـن هذا اللون ، فعندمـا يستمع المستمع إلى قصيدة من بحر الطويل يدرك حسا أن هذه قصيدة تختلف عن غيرها ، العلم هو وضع الأسماء لـلأشياء ، والخليل وضع الأسماء لهذه الأمـور ، وابتكر الميزان الذى يمكن أن نزن به هذا الشعر ، فنحكم نحن المتلقين غير الشعراء على هذا الشعر إن كان صحيحًا أو خطأ .

الذى ابتكـره الخليل يتمثـل عندى فى فكرتـه الأولى «الحصر» والتى كـانت لديه فى كل الأمور الأخرى، ويتمثل فى ابتكـار الوحدة الصوتية التى يقاس بها هذا الشعر، كيف يُقاس الشعر؟ . . المعـايير الصوتية أمامه الحرف، الكلمة، الجملة، والخليل وجد أن هذه لا تصلح أن تكون معيارًا لأن البيت من الشعر لديه كميـة صوتية منظمة بطريقة معينـة تنتهى بقافية، وهو يريـد الوصول إلى السر الـذى يجعل هـذه الكميـة مترتبة بهذه الطـريقة، فـانتهـى إلى ما سُمـى «التفعيلة» وهى مأخوذه من الفاء والعين واللام.

ولعل فكرة التفعيلة مأخوذة من الوزن الصرفى، لأننا نقول فى الميزان الصرفى «كتب على وزن فعل» إلخ، فأخـذ الفاء والعين واللام ووصل بهذه التفعيلة إلى أقصى قدر يمكن أن تكون عليه الكلمة.

الكلمة فى العربيـة لا تبلغ بشىء ما أكثر من سبعـة أحرف، وأكبر كلمة فى اللغة العـربية سبعـة أحرف بـالزيـادة على الأصول، ولـذلك نجـد أن أقصى تفعيلة لـديه سبعـة أحرف وهـى متفاعلن، وقيمـة متفاعلـن أو فاعـلاتن أو مستفعلن ليست فى أنها كلمة ذات معنى فى المعجم «ليست كلمة معجمية»، بل تكمن فى أنها تنظيم صوتى معين.

هم لم يستخدموا مصطلح «المقطع الصوتى» لكن نقول إن التفعيلات لدى الخليل تكمن قيمتهـا فى أنها مقاطع صوتيـة منظمة بطريقة مخصـوصة، فمثلاً المقطع الصوتى هو عبارة عن الكمية الصوتية التى لا يمكن فصلها، ونلاحظ أن المقاطع الصوتيـة بعضها قصير وبعضها طويل، وترتيبهـا من حيث الطول والقصر هو الذى يحكم هذه التفعيلة.

فكرة التقليب بين حـروف الكلمة قادته إلى التقليب بين مقـاطع التفعيلة، ولذا نجد مستفعلنْ سبـب خفيف أى حركة فساكن «مُـسْ» ثم سبب خفيف

«تَفْ»، ثم حركتان فساكن «عِلُن» حركتان يسمى الوتد المجموع .

أى أن مستفعلن «تتكون لديه من سببين خفيفين ووتد مجموع» .

فكرة التقليب هذه يمكن فيها وضع الوتد المجموع فى الوسط مُس / علنْ/ تفْ، وهى تعطينا تفعيلـة أخرى، فاعلاتن، ويمكن وضـع الوتد المجموع فى الأول علنْ مُس تفْ فتعطينا «مفاعيلنْ» .

ولذا كـل مقطع صوتـى يأخذ نقرة واحـدة «فاعلاتـنْ» وكل حس صـوتى يمكـن أن يفرق بين هـذه التقليبات، فـإذا فعلت هكـذا أربع طـرقات نقـول فاعـلاتنْ خمس طرقـات «مستفعلن» ثم مفـاعيلن، وهذه هـى النغمات التى يدور عليها هـذا التقليب، فكرة التقليب بين التفعيلة الواحـدة، وهو يعرض هذا على الشعر يجد أن هناك شعرًا يتوازى مع هذا الكلام فاعلاتن فاعلاتن . . إلـخ، أى يجد أن الشعـر يسير على هـذا النغم، فهـذا التقليـب بين التفعيلـة الواحـدة هداه إلى فكرة أخـرى وهى الدوائر العروضيـة، لكن قبل ذلـك أريد القول إن التفعيلة الواحدة ليست هى الـوحدة الصوتية أو الوحدة الموسيقية إذا تجاوزنا التى يمكـن أن يُبنى عليها الشعر، فهناك وحـدات أكبر من التفعيلة، وقلنا إن أكبر تفعيلة «متفاعلنْ» سبعة حروف .

هذه الفكرة هـدته إلى التقليب بين التفعيلات نفسهـا، فضم تفعيلتين معًا وجعلهما وحدة قيـاس فمثلاً «فعولـن ـ مفاعيلن» تصبـح «فعولن مفـاعيلن» وحدة قياس تتكـرر بنظام، والوحدة «فعـولن مفاعيلن» تصبـح نفسها وحدة لأنه لا توجد كلمة فى اللغة العربيـة من ستة أحرف زائد خمسة أحرف أى أحد عشر حرفًا لأن أكبر كلمـة سبعة أحرف، وبالتالى هـو يجعل التفعيلتين وحدة واحدة «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن» هذا مثلا «بحر الطويل» . . .

«وليل كموج البحر أرخى سدوله   علىَّ بأنـواع الهمـوم ليبتلى»

«وليل» تساوى فعولن، «كموج البحـ» تسـاوى مفاعيلن. وهذا هو الميزان الذى استعمله.

التقليب بين التفعيـلات نفسها أوجـد عددًا من الأبحـر الأخرى، ولـذلك هدته هـذه الفكرة إلى فكرة الدائرة العـروضية. والخليل تصور أن البيـت عبارة عن دائرة صوتية ذات وزن معين أى دائرة صوتية موسيقية. فمثلا عندما نقرأ:

«وليل كموج البحر أرخى سدوله   عـلىَّ بأنواع الهـموم ليبتلى»

نلاحظ أن الدائرة انتهت بـ «لى»، وهكـذا حتى نهاية القصيدة، أى أن كل قصيدة عبارة عن دائرة صوتية تنتهى بقفل معين هو ما يسمى «القافية».

هـذه الدوائر لابـد أن تكون متسـاوية، وأرى أن الخليـل نظر إلى القصيـدة كمجموعـة حلقات بعضها تحت بعـض، وكل حلقة متـوازية تمامًا مـع التى تليها، لأن كل وحدة قياس شرطها التساوى، ولذا يُقال هذه القصيدة أربعون بيتًا أو خمسون وهكذا.

لقـد جمع الخليل بـن أحمد الشعـر العربـى كلـه فى خمس دوائر وسمى كـل دائرة، دائرة تجمع الكامل والوافر، فمثلاً الكامل «متفاعلن». . .

«ولقد ذكرتك والرماح نواهـل   منى وبيض الهند تقطر من دمى»

«فوددت تقبيـل السيوف لأنها   لمعت كبارق ثغـرك المتبســم»

وهذا يتشابـه مع قائل: متفاعلن متفاعلـن متفاعلن ـ متفاعلـن متفاعلن متفاعلن صوتيا حيث يكون كل بيت متساويًا مع هذه النغمات.

أقول «متفاعلن» مكونة من جزأين «متفا / علن» لو عكسنا «علن ـ متفا»

أى نغمة أخرى مفاعلتن، مفاعلتن. مفاعل . . إلخ. وهنا سنأتى إلى مسألة العلة، والزحاف، وهى مظهر آخر من مظاهر عبقرية الخليل بن أحمد فى عمل العروض، عمل العروض يقتضى أن يكون رجلاً رياضيا موسيقيا لغويا، ملما بكل أنواع الشعر العربى. . إلخ.

من هنا ما قيل من أن الخليل جمع بحور الشعر العربى كله، واستدرك عليه الأخفش بحر المتدارك يمكن أن يعاد فيه النظر، لأن بحر المتدارك نغمائه فاعلن

جاءنا عامرٌ سالمًا صالحًا . . . بعد ما كــان مـا كان مـن عــامر

هذه لو قلبناها لصارت «علن / فا».

الخليل لم يشر إلى هذا البحر، لأن الشعر العـربى القديم فى العصر الجاهلى لم يكن فيه بحر المتدارك، لكن الخليل نفسه كتب شعرًا من هذا البحر، فكيف نقول إنه لم يعرفه!!.

فى الدوائر العروضية بعض البحور مستعملة وبعضها مهملة، فالنظام دائمًا أوسـع من الاستعمال، أى نظـام يستوعـب الموجـود ويزيـد عليه فيما يسمـى «المهمل»، فكـرة الزحاف فى الشعـر، عندما نوازنـه تمامًا بين ما تنتجـه الدائرة العروضية والشعر العربى مثل بحر الهزج ووزنه مفاعيلن، خسب نظام الدائرة يخرج مفاعيلـن ست مرات، لكـن الخليل يرى أن الشعر العـربى الذى قـاله العرب ليس فيه مفـاعيلن ست مرات أبدًا بل فيه أربع مـرات، ولذا قال: إنه مجزوء وجوبًا، أى ذهب جزء فى الشطر الأول وجزء فى الشطر الثانى، مثل:

«فلما صـرح الشـــر فأمســـى وهـو عـــريان»

ولذا فـإن موضوع الجزء الـواجب مرتبط بنظـام الدائرة، ولذا قيـل فى المديد أيضًا إنه مجزوء وجوبًا. . إلخ.

نأتى إلى مسألة «الزحاف ـ العلة» ، مثلاً بحر الوافر «مفاعلتن» ، حسب نظام الدائرة يخرج مفاعلتن ست مرات وليس هناك شعر عربى به مفاعلتن ست مرات ، فاخترع حكاية العلة أى أن يحذف جزءًا من التفعيلة . . .

ألا هُبى بصحنك فأصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

وقال إن العلة إذا عرضت فى أول بيت لزمت فى جميع القصيدة ، لأن البيت هو وحدة القياس ولابد أن تكون كل الوحدات متساوية .

فكرة الزحاف تغيير طفيف يحدث فى داخل البيت ، أى أنه ليس من الضرورى أن تكون كل تفعيلة مستفعلن لا يحدث بها شىء ، مثلاً ما يساوى السين لا يكون موجودًا ، ما يساوى التاء لا يكون موجودًا ، لكن هل تأثرت المقاطع الصوتية؟ . . فكرة الزحاف تدور حول إدماج مقطعين قصيرين فى مقطع واحد طويل مثلاً :

هلاَّ سألت الخيل يا بنة مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى الوغى وأعف عند المغنم

المفروض مُتَفَاعلن ، ولكن هلاَّ سأل «مُتْ فَاعلن» لا بأس . . . وهذا مسموح به لأنه صوتيا لا يؤثر فى وزن البيت ، مقطع صوتى طويل يتساوى مع مقطعين قصيرين .

الفكرة إذن تحويل مقطعين قصيرين إلى مقطع واحد طويل ، أو تقصير مقطع طويل ، ويبقى المقطع كما هو ولا يتأثر الوزن الشعرى ، وهذه أعطت مرونة كبيرة فى ميزان الخليل حتى تجعله صالحًا لاستيعاب الشعر العربى .

شرحت هـذا لأوضح عبقريـة الخليل بن أحمد لـدرجة أن العروض يقـال له «البحور الخليلية» والحدثيون يـرمون ذلك بالتخلف، وعندمـا ظهرت قصيدة النثر (أعجب لهذه التسمية) أنحوا باللائمة على الخليل وعروضه.

إن الشعر العـربى ما لم يرتبـط بالنظام الـذى وضعه الخليل ـ وليـس فى هذا جمود أو تخلف ـ فإن الهوية العربية تضيع مـع ضياع كل جزء من جزئيات هذا النظام الذى وضعه الخليل، وقد سُمح بـالتجاوز فيما يتعلق بالشعر الحر لأنه يسير على التفعيلات والنظام بطريقة ما.

«المنظومة النحوية عند الخليل بن أحمد»

أ.د. أحمد عفيفى *

الخليل بن أحمد هو ابن الأمة العربية الذى أثر فيها فكرًا وسلوكًا وخلقًا، ولا أبالغ إذا قلت لم أجد شخصًا على الإطلاق فيما قرأت اتفق جميع المؤرخين على نبل أخلاقه وسماحة روحه كما اتفقوا على الخليل . . . الخليل بن أحمد الذى انطلق من قرية «ودام الساحل» تلك القرية التى يحتضنها شاطئ الخليج العربى فى ولاية المصنعة بسلطنة عُمان ـ انطلق إلى البصرة ليؤثر فينا علمًا وسلوكًا وروحًا، فلولاه لما اجتمعنا الآن حول نظرياته وعلمه . . الخليل الذى أصبح بحق محورًا لكل دراسة لغوية أتت بعده ـ وليس فى هذا الكلام مبالغة ـ أستطيع أن أقسم حياته موزعا عليها طاقاته بين ثلاثة أنواع :

الأولى : طاقة تنظير، نظريات، وهى طاقة إبداع .

الثانية : طاقة كفاح دينى وكلنا يعلم أنه كان يحج ويغزو، فمع كل هذه النظريات كان يشارك فى الغزو والحروب .

الثالثة : وهى التى نقف أمامها الليلة طاقة تربوية . . طاقة التعليم .

---

* أستاذ النحو والصرف والعروض بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

بعد كل هـذا الزمن «اثنا عشر قرنًا» ونحـن مازلنا نكتشف جوانـب عبقرية الخليل.

سأتكلـم الآن عن المنظـومة، ولكن لابـد أن نعرف أن المنظـومة وحـدها لا تكفى لرسم السياسة النحوية للخليل، بل يمكن أن نذهب إلى كتاب سيبويه الذى احتوى معظم آراء الخليل إلى حد أنه بُنى على آرائه، وكلنا يدرك تمامًا من خلال أقوال النحويين أن سيبويه واضـع النحو العربى، ولكن فى الحقيقة أن الخليل بن أحمد هو مؤسس النحو العـربى، وليس مؤسسا لمدرسة البصرة فقط كما يقال، وأستطيع أن أؤكد أنـه مؤسس أيضًا للمدرسة الكـوفية، وهناك من الأدلة على أن أساتذة المدرسة الكوفية تتلمذوا على يديه ولهذا أثر فيهم.

أما قصـة هذه المنظومة التـى تُكتشف بعد مرور اثنـى عشر قرنًا من الـزمان فأقول إن هذه المنظومة ذات قصة يمكن سردها بسرعة . . . منذ ثلاث سنوات تقريبًا وعُمان تعيش فترة مهمة من تاريخ نهضتها عندما أعلن جلالة السلطان قابوس عن عـام التراث، وارتأت جامعة السلطان قابوس بـالمشاركة مع وزارة الإعلام العُمانية إقـامة ندوة تراثيـة تضم كثيرًا من الأسماء العربيـة ليتكلموا عن تـراث عُمان، ودعيت لأكتـب محورًا وأشارك فى هـذه الندوة، ذهبـت إلى دائرة المخطـوطات بـوزارة التراث القومـى والثقـافة بسلطنـة عُمان، وأشار إلىّ أحـد الباحثين العُمانيين إلى أن هناك منظومـة نحوية فأنكرت، لكننا حـاولنا البحث حتى وصلنا إلى نسخـة منها، لم أصدق فى بادئ الأمر لكن استمـر بى البحث حتى وصل عدد النسخ داخل دائرة المخطوطات إلى ثمانى نسخ، وهذه النسخ كانت داخل مجاميع ولم تكن هناك نسخـة مستقلة لهذه المنظومة وبالتالى لم يقم أحد بتحقيقها.

لم أقف عند هـذا الحد لكنى خرجت للبحث فى المكتبات العـامة والخاصة خارج وزارة التراث القومى والثقافة، فوجدت نسخة فى مكتبة السيد محمد بن

أحمد البوسعيدى المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشئون الدينية والتاريخية ، ونسخة ثانية فى مكتبة خاصة للشيخ سالم بن حمد الحارثى فى ولاية «المضيرب ،» ونسخة ثالثة فى مكتبة العالم العُمانى الشيخ نور الدين السالمى . . .

كل ذلك كان أمامى وأنا أحاول اكتشاف منظومة الخليل ، لكننى لم أقف عند هذا الحد وحاولت أن أتثبت من هذا كما يقول المحققون وكان لابد من النظر فى النقدين الداخلى والخارجى ، الداخلى أن أدرس آراء الخليل وهل تتعارض مع بقية ما نُقل وقِيل عنه فى الكتب المختلفة . . . وبالمناسبة هناك كتب أخرى غير كتاب سيبويه يمكن أن نستقى منها ، ومنها معجم العين الذى فيه بعض الآراء النحوية ، ومنها كتاب الجُمل الذى نُسب إلى الخليل ، بالإضافة إلى المنظومة النحوية . . . حاولت أن أدرس آراء الخليل لأرى هل هناك تعارض؟ بعد دراسة تيقنت تمامًا أنها للخليل ، من خلال النقد الخارجى أيضًا ، الخطوط ، الأزمنة ، الأمكنة . . . كل ذلك كان فى صالح الخليل .

وفى النهاية أردت أن أرى ما كُتب عن هذه المنظومة وكان هذا هو الضوء الأخضر الذى بدأت من خلاله بتحقيق هذه المنظومة ، نص صغير لكتاب كُتب فى القرن الثانى الهجرى لخلف الأحمر، وخلف الأحمر كان ينتحل على الشعراء بعض الأبيات أو القصائد ، فشككت فى أول الأمر لكننى وجدت كتبًا كثيرة تشير إلى ثقته ونزاهته .

إذن لم يكن الأمر متروكًا للاحتمال ، بالإضافة إلى أن خلف الأحمر إذا كان ينتحل شعرًا فهو لمدح أو ذم أو للكلام عن يوم من أيام العرب ، فلماذا ينتحل قصيدة بها بعض الآراء النحوية عن الخليل؟ لماذا لا ينسبها لنفسه؟ كل هذا دار فى خُلدى وأنا أحاول تحقيق هذه المنظومة ، تلك المنظومة التى وجدت عنها كلامًا مهما جدا فى كتاب «اتحاف الأعيان فى ذكر بعض علماء عُمان»

للشيخ سيف بن حمود البطاشى، وهناك كلام مهم عن تلك المنظومة وذكر بعض الأبيات، وقال إنها أطول من هذا بكثير. . . فلماذا أشك بعد كل هذا؟ .

استمر بى البحث لأجد د. عز الدين التنوخى يكتب عنها، وكذا د. إبراهيم السامرائى يشير فقط مجرد إشارات، ولم يكتب أحد عن تلك المنظومة إلا بيتين تقريبًا .

إذا كان لى أن أحقق هذه المنظومة وأدرس ما فيها من آراء، أستطيع القول : «إن المنظومة عبارة عن ثلاثة وتسعين ومائتى بيت، إذ لم تصل إلى ثلاثمائة بيت، لكن بها الآراء الكثيرة التى يمكن أن نجمع منها نحو الخليل»، القصيدة كُتبت على بحر الكامل التام الصحيح العروض والضرب وبدأها الخليل بقوله :

«الحمد لله الحميد بمنه
أولى وأفضل ما ابتدأت وأوجب
حمدًا يكون مبلغى رضوانه
وبه أصير إلى النجاة وأقرب»

المقدمة جاءت فى ستة وعشرين بيتًا وكان ذكيا فى انتقاله من المقدمة إلى الموضوع الأول ليقول فى نهاية المقدمة :

فإذا نطقت فلا تكن لحانة
فيظل يسخر عن كلامك مُعرب
النحو رفع فى الكلام وبعضه خفض
وبعض فى التكلم يُنصب

انتقال جيد من المقدمة إلى الموضوع .

أما منهج الخليل فى منظومته فهو منهج تعليمى، ونحن جميعًا نعلم أن منهج التعليم لابد أن يكون سهلاً سلسًا وهذا هو ما أكده الخليل ونفذه تطبيقًا، سهولة العبارة، كثرة الأمثلة والنماذج، وهى سمة يجب أن نتوقف أمامها كثيرًا، لأننا نقول عند تدريس النحو والصرف والعروض لابد من الإكثار من النماذج والأمثلة حتى يستوعب الطالب جيدًا ما نقوله وحتى تستقيم لغته على لسانه، وقد فعل ذلك الخليل فى القرن الثانى الهجرى. . . أمثلة كثيرة ونماذج تطبيقية كثيرة إلى حد أننا يمكن أن نشك هل كتب ذلك الخليل؟! ، والحقيقة أنه كتب ذلك لأنه يركز على المثال والنموذج لتستوعب الأذن ما يقال من قاعدة نحوية.

نقطة أخرى غاية فى الأهمية وهى أن الخليل درس النحو بشكل دلالى، لم يدرسه بشكل جاف، فحاول إدخال المعنى مع القاعدة، ولعل د. حماسة عندما ألف كتابه «النحو والدلالة»، كان على علاقة قوية بالخليل وسيبويه لأن تلك البذرة بدأت من هنا.

الخليل الذى قال تدليلاً على أنه يقصد سهولة العبارة والأداء يقول فى حواره مع أبى المعلى، «إن ما يشغلنى ويبعدنى عن الناس هو تسهيل الأمر على المتعلمين والكاتبين والقارئين».

انظروا هذه العبارة التى تؤكد السهولة التى أرادها الخليل عن قصد، أسلوبه أيضًا يدل على ثقة كبيرة فى نفسه كما يقول المؤرخون. . . يقول فى مقدمة قصيدته:

إنى نظمت قصيدة حبَّرتها

فيها كلام مونق وتأدب

لذوى المروءة والعقـول ولم أكـن

إلا إلـى أمثـالهـم أتقـرب

عربيـة لا عيـب فى أبيـاتها

مثل القـناة أُقيـم فيهـا الأكعـبُ

ومن خـلال تلك الثقـة فى النفس ، ومـن خلال تلـك السهولـة واليسر فى تناوله القضايا النحوية قدم لنا الخليل منظومته .

إن دراسـة تلـك المنظـومـة تـؤدى إلى نتـائج مهمـة ، أولها أن كثيرًا مـن المصطلحـات التـى نُسبـت خطـأ إلى الكـوفيين لم تكـن للكـوفيين ، ولكنهـا للبصريين وللخليـل بشكل خـاص ، أخطاء تـاريخية تعـالجها هـذه المنظومـة وتوجه الحق إلى أصحـابه ، لأن الخليل هو صاحب تلـك المصطلحات ، وهنا فقط أشير إلى مصطلحات مثل النسق ، الجحـود ، الغاية ، الخفض ، الفعل ، وكلها مصطلحات نحوية يشير المؤرخـون إلى أنها للكوفيين ، لكنها فى الحقيقة للخليل بن أحمد كما وردت فى منظومته .

المنظـومة تعطـى انطبـاعًا عـن حيـاة الخليل . . . انظـروا مـاذا يقول أحـد المؤرخين عـن الخليل زورًا «كـان أشعث الـرأس شـاحب اللـون قشف الهيئـة متمـزق الثيـاب متفلـح القـدمين» . . . ولا يمكن أن تكـون هـذه صـورتـه ، والمنظومـة تعطى غير ذلـك على الإطلاق ، والشخص عنـدما يكـون على هذه الهيئة لا يفكر فى غـزل أو امرأة حسناء ، لكن الخليل كـان يحاول إظهار نفسيته للناس بغزلياته الرقيقة ونماذجه العذبة ، ماذا قال؟ :

وتقـول إنـى قـد مـررت بطفـلة

خوف القصاص وظل قلبى يرغب

وتقـــول إن رخمـــت زينب صادقًـــا

يـــا زيـــن إن البـــين فيه تشـــعب

ولـدى الرباب مقـر كل ملاحــة

تســــبيك حاصـرة وحين تجلـبب

أبيات كثيرة تدل على أن الخليل لم يكن على هـذه الحالة على الإطلاق، لأنه لو كان كذلك لظهرت نماذجه صورة لذلك.

تلك المنظومة تدل على تقواه، وهى حقيقة مؤكدة فى التاريخ عندما يقول:

وتقـــول لا تدع الصـــلاة لوقتـــها

فيخيب سعـــيك ثم لا تُستعـــتب

فأجـــب ولا تـدع الصـــلاة جمـــاعة

إن الصـــــلاة مع الجمـــاعة أطيـــب

لا تعصـــــين الله واطـــلب عفـــوه

لا تـشربن خمـــرًا فبئـــس المشــــرب

هذه صـورة اجتماعية تؤكـد أن المنظومة كشـف جديـد لجانب من عبقـرية الخليل، وهى إضافة تربوية وتعليمية، فقد كان حريصًا على أن يعلم العامة، وأن يقابل فى جلساته صفوة القوم مـن العلماء ليحدثهم فى القضايا الفلسفية، لم يتناول فلسفـة نحوية فى منظومتـه، ولم يتناول الشاذ والخارج عن القـاعدة، لكنه كان حريصًا على أن يقدم النحو بشكل سلس.

وهكذا يتأكد لنا أن المنظومة منهج جاد لتعليم النحو، وتكشف عن تعديل فى بعـض المفاهيـم النحويـة ، وتبرز أن الخليل هـو مـؤسس النحـو العربـى بمدرستيه الكوفية والبصرية .

أخيرًا، فإن المنظومة تكشف عن شاعرية الخليل لأنه أيضًا كان شاعرًا .

«قصيدة مهداة للسيد: عبد الله بن حمد
ابن سيف البوسعيدى» صاحب فكرة الصالون *

ألا حيى صالــــون الخليــل بن أحمد
وحيى بمــن أحيــاه فى نهـج مربــد
هو السيد المقـدام فى العـلم والــعلا
فأكــرم بـــه مـن سيـد نجــل سيـد
سفيـر عـُـمان عشـت فينا موقــرًا
حفيًا بإحســـانات ربـــى المـــوحد
لكم كنــت سبـاقًا لنهـــج وســنة
وكم كنت مضيافًا لنا خيـــرَ منجد
بدأت بحـــمد الله محمــود سيــرة
فواصـــل طريـق المجـد دومًا وجـدد

* نظـم هذه القصيـدة الشاعـر العُمانـى عبد الله بـن أحمد الحارثـى وألقاهـا فى مناسبـة افتتـاح الحلقة الأولى مـن الصالون .

عُمـــان بها كنــز المعــارف زاخرٌ
فنقــب تجد تاريخــها خــير مرشـــد
علــوم وأفـــــلاك وطب ومنــــجم
من الشــعر والآداب والفــقه فاهــتد
فراهيـــدنا مــع جابر وابـن قطــــنة
وابـن دريد شيخــــنا وابن ماجـــد
لهم تنتمى أصل الفصــاحة والنهـــى
بنحـــو وصـــرف مع عـــروض مســند
وفى البحـــر صـــولات لهم ورئـاســة
يسطـــرها التاريـخ فخـــرًا بســـؤدد
إليـــك أبـا محمــود منـــى تحـــية
معــطرة كالمســـك فى خـد أغيـــد
وهذا خيـــار القـــوم جاءك حشـده
يحييــك عنـــدى أنه خيـــر محشـد
ويضفى عليـــنا من معــارف بحــره
ويـــشرح مـا قـد تـم دون تــــــردد
تقبـــل لأبيــاتى وإن ركَّ سبكـــها
فما كنـــت قبل اليــوم حقــا بمنشد
ولكن صـــالون الخليـــل بن أحمــد
أثار قريحـــى كى يبلـــغ مقصــدى

الحلقــة الثانيــة *

«الدلالات الحضارية لموسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب»

أدار الحلقــة :

أ. د. على الدين هلال

عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة

المتحــدثــون :

أ.د. محمود فهمى حجازى ـ رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

أ. فاروق شوشة ـ رئيس الإذاعة المصرية السابق.

---

* انعقدت هذه الحلقة فى القاهرة يوم الأربعاء ٢٣ رجب ١٤١٧ الموافق ٤ ديسمبر ١٩٩٦ .

«كلمة السيد: عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى»

بسم الله الذى علم آدم الأسماء، والحمد له سبحانه والثناء، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم أجمعين . . .

السادة السفراء، الأساتذة الأجلاء، الأدباء والشعراء، المثقفون والصحفيون . . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . . يسعدنى فى بداية حديثى أن أرحب بكل من الأستاذ الدكتور على الدين هلال، الأستاذ الدكتور محمود فهمى حجازى، الأستاذ الأديب الشاعر فاروق شوشة، الذين سنستمع إليهم فى هذه الليلة عن موضوع من موضوعات حلقات صالون «الخليل بن أحمد الفراهيدى الثقافى».

أيها الحضور الكريم . . إذا كانت الحلقة الأولى من الصالون قد ركزت على جهود الخليل فى الدراسات اللغوية العربية، فإننا فى هذه الحلقة لن نبتعد كثيرًا عن اللغة، إذ هى منبع الاسم العربى ومصدره، والاهتمام به لا يقل أهمية عن العناية باللغة ذاتها، بل يحتاج إلى مزيد من البحث والدراسة.

أيها الحضور الكريم: موضوع الليلة هو موضوع «**الدلالات الحضارية لموسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**»، وإذا كان الجهد الذى بُذل لإخراج هذا الإنجاز العظيم جهدًا كبيرًا منذ بداية الفكرة ونشأتها حتى وصلت إلى

المكتبة العربية ، فإن الفضل لابد أن يُنسب إلى أهله ، فالفكرة جاءت من لدن صاحب **الجلالة السلطان قابوس بن سعيد المعظم** ــ حفظه الله ــ كإنجاز حضارى يضاف إلى إنجازاته فى ميدان الحضارتين العربية والإسلامية ، ويضاف كقيمة علمية للمكتبتين العربية والإسلامية ، ولقد شارك فى هذه الموسوعة نخبة من العلماء والباحثين وعدد من الخبراء والمستشارين المتخصصين من مختلف البلاد العربية ، كما أن هذا المشروع يعتبر عملاً غير مسبوق من حيث البحث والدراسة والتصنيف ، ومن حيث الجمع والإحصاء . . . إلخ

لن أتحدث كثيرًا فسأترك ذلك للأساتذة الكرام الذين سنستمع إليهم إن شاء الله ، وأود أن أؤكد أننا سنلتقى دائما فى مواضيع مختلفة لهذا الصالون الذى سيستمر على بركة الله بالتفاعل المستمر فيما بيننا .

شكرًا لكم أيها الحضور وشكرًا للأساتذة الكرام الذين اقتطعوا جزءًا من وقتهم الثمين لكى يشاركونا فى هذه الحلقة ، وأترك الحديث للأستاذ الدكتور على الدين هلال رئيس الحلقة الثانية لهذا الصالون .

«الدلالات الاجتماعية لأسماء العرب»

أ.د. على الدين هلال *

نحن نجتمع فى هذا المساء لمناقشة عمل علمى تم ونُشر وطُرح فى الأسواق منذ خمس سنوات على الأقل، هذا العمل العلمى «**هو موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب**» هذه الموسوعة تتكون من ثمانية أجزاء، أربعة أجزاء هى «سجل أسماء العرب»، وتشمل الأسماء الأكثر تداولاً وشيوعًا فى المحيط العربى المعاصر، تم تجميع هذه الأسماء من خلال دراسة ميدانية فى أكثر من اثنتى عشرة دولة عربية، تشمل المناطق اللغوية الرئيسية فى أمتنا العربية، ثم جزءان معجم أسماء العرب، ثم دراسة عن منهج البحث وأساليب الاستقصاء والجمع الميدانى ثم معجم لمشاهير أعلام عُمان.

لمن يعرفنى من حضراتكم أو لمن سمع عنى لابد أن تصيبه الدهشة عن أسباب وجودى فى هذا المحفل الموقر، وأشاطركم أنه عندما فاتحنى الأخوة فى السلطنة فى هذا الأمر أصيبت نفسى بالذعر لأننى لا أدعى أية معرفة من قريب أو بعيد فى ميدان اللغة العربية، لا بحكم تخصصى العلمى ولا بحكم تدريسى فى الجامعات ولا بحكم بحوثى المنشورة، ومن ثم فإن الفضل العلمى كله يعود إلى الأخوة والأساتذة الذين شاركونى فى هذا العمل.

---

* عميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة.

يبقى عملى فى المقام الأول فى المجالين الإدارى والتنظيمى والتأكد من تنفيذ العمل فى التوقيتات المحددة، وقد اتفقنا على أن نترك مجالاً للمناقشة، ومن ثم سوف تكون الكلمات موجزة بقدر الإمكان حتى نترك مجالاً أرحب للمناقشة وتبادل الآراء.

اسمحوا لى أن أعرض على حضراتكم بإيجاز بعض المعلومات الأساسية عن هذا المشروع، على مستوى الشكل نحن نتحدث عن مشروع عربى.. عربى الفكرة.. عربى المبادرة.. عربى التنفيذ، الفكرة والمبادرة جاءتا من جلالة السلطان قابوس، ويُحمد له كحاكم عربى أنه اهتم بأمور الثقافة والعلم، ليس فيما يتعلق ببلده وإنما بأمور العرب وبأمور اللغة العربية والثقافة العربية عمومًا.

ولم يجنِ هو منها شخصيا ولم تجنِ سلطنة عُمان من وراء تنفيذ هذا المشروع أمرًا خاصا بها، فنحمد له فضل الفكرة وفضل المبادرة.. التنفيذ عربى صرف، مجموعات كبيرة من الخبراء والمتخصصين والباحثين الميدانيين من اثنتى عشرة دولة عربية شاركوا فى تنفيذ هذا العمل.. من السعودية، البحرين، مصر، العراق، الأردن، المغرب، الجزائر، تونس، ... الكويت... الإمارات... قطر... اليمن... بالإضافة إلى سلطنة عُمان.

بدأ العمل فى هذا المشروع فى منتصف عام خمسة وثمانين فى مسقط، واستمر العمل من عام ١٩٨٦ حتى عام ١٩٩١ ثم صدور الموسوعة فى عام ١٩٩٢.

لا يُخفى عليكم مع اختلاف الظروف السياسية فى بلادنا العربية، فقد واجه هذا المشروع صعوبات عديدة.. صعوبات جمع المادة الميدانية *، وكنا

* يقصد بالمادة الميدانية هنا أسماء البشر.

حريصين أن يتم الجمع ليس من مصادر تراثية أو بطون الكتب، وإنما نحن نتحدث عن أسماء عرب أحياء حصلنا عليها من أدلة التليفون، من أسماء طلبة المدارس، من أسماء طلبة الجامعات، ومن مصادر أخرى عديدة . . حرصنا أن تكون الأسماء ممثلة للمناطق الجغرافية المختلفة فى كل بلد عربى، أن تكون ممثلة للطبقات والشرائح الاجتماعية المختلفة، لأنه مثلاً الاعتماد على أدلة التليفون يوقعنا فى محظور طبقة اجتماعية بعينها، اعتمادنا على طلبة المدارس شريحة عمرية بعينها . . إذا تعددت المصادر بهذا الشكل من بلد إلى آخر، وتم إخضاع هذا لدراسات علم الاجتماع والتكوين الاجتماعى والجيوغرافى السكانى لكل قطر عربى بحيث يمثل الفئات، الطبقات، المناطق الجغرافية المختلفة . . يكون من عدم العدالة إذا أعطينا الانطباع أن هذا العمل قام به فريق من أربعة أشخاص أو خمسة أشخاص أو عشرة أشخاص .

كان لهذا المشروع منظومة، كان لدينا اللجنة الوطنية العُمانية . . ثم كان لدينا فريق البحث الموجود فى القاهرة، ثم اللجنة الاستشارية العليا للمشروع وتتكون من مجموعة من الاستشاريين من كل بلد عربى تطبق فيه الدراسة، ثم كان لدينا مجموعة من الخبراء الذين قادوا العمل الميدانى فى كل بلد عربى . .

الهدف من هذا البحث . . أنه بحث لغوى تاريخى حضارى معاصر، الهدف منه حصر ورصد وتسجيل الأسماء التى يتسمى بها العرب الأحياء، ثم من خلال وضع هذه الأسماء على الحاسب الآلى يتم تحديد الأسماء الأكثر شيوعًا وتداولاً، ثم تحقيق لأصول هذه الأسماء من جوانبها التاريخية، اللغوية، الحضارية، الثقافية. كان الهدف أن دراسة الأسماء هى جمع بين الأصالة والمعاصرة، اسم الأب والجد، والأسرة، يرمز إلى الأصالة . . الأصالة التى تضرب بجذورها فى أعماق التاريخ وفى جذور الأمة وثقافتها، ثم المعاصرة التى

تستجيب لاحتياجات التطور والتى تعكس التفاعل الثقافى والحضارى بين الثقافة العربية واللغات والثقافات الأخرى التى احتكت بها فى القرن العشرين، هكذا انطلق منهج البحث فى الموسوعة ككل وسوف يتحدث زملائى تفصيلاً فى هذا.

إن الاسم الذى نتسمى به ليس مجرد تعبير لا معنى له، بل إن اسم كل إنسان. . اسم الشخص ثم اسم الأب ثم اسم الجد، ثم اسم الأسرة هو فى واقع الأمر ملخص للتاريخ الثقافى والاجتماعى لأسرة من الأسر أو لشعب من الشعوب أو مجتمع من المجتمعات. . لأن الاسم هو تلخيص لخبرة اجتماعية. . .

والاسم هو انعكاس لتطور سياسى واجتماعى وثقافى. . من كان يصدق فى مصر مثلاً أنه من ثلاثين سنة أن بنتًا فقيرة يكون اسمها هويدا أو اسمها غادة. . مثل هذين الاسمين كان حكرًا على الطبقات العليا فى المجتمع. أى أن الاسم له دلالة طبقية، له دلالة حضارية أو ريفية، له دلالة تتعلق بالمستوى الثقافى والتعليمى للأسرة، الاسم يعكس علاقة الإنسان ببيئته، يعكس علاقة هذا المجتمع ومدى انفتاحه وانغلاقه مع الثقافات الأخرى.

لقد أكد هذا البحث من أن مجموعة الأسماء أو منظومة الأسماء الأكثر شيوعًا فى أى مجتمع من المجتمعات هى ملخص مكثف للخبرة الجمعية لهذا المجتمع، وهى تعبير صادق عن ملخص وضعه الثقافى ورموزه التاريخية والثقافية، وقد لاحظنا ما يمكن أن نسميه بدوران الأسماء، أسماء كانت موجودة فى جيل الأجداد ثم تختفى ثم يعود ظهورها مرة أخرى فى مرحلة لاحقة، نندهش مثلاً. . أحد الأسماء الذى يتصور البعض أنه من الأسماء المستحدثة. . (نورا). . هذا اسم عربى قديم. . وعديد من الجدات العربيات

اسمهـن (نورا) . . ثـم ينزوى هـذا الاسم لفترة ثـم يعود مـرة أخرى فى شكـل مستحدث .

لكـى نُنفـذ هـذا ، لم يكـن مـن الممكـن أن يقتصر البحـث على أسـاتـذة اللغة ، وبالتالى اعتمدنا على أساتـذة فى التاريخ ، أساتذة فى الاجتماع ، أساتذة فى الأمثال والثقافـة الشعبية فى البلدان العربيـة المختلفة ، أساتذة فى السيـاسة لبحث دلالات انتشـار اسم معين . . جمال عبـد الناصر (جمال) ، والأحـداث التاريخية التى تؤثر على البيئة النفسية للوطن العربى وتجعله يسمى أبناءه بأحد الأسماء ، الموسوعـة عندما تطلعون عليهـا تجدون أننا مع كل اسـم من الأسماء الشائعة عرضنا للبيانات اللغوية المشتقة من المعاجم .

كذلك الاسم كـأحد مفردات اللغة العربية ، الصيغة والمعنـى أو المعانى ثم بيانـات اجتماعية ، هـل يطلق هذا الاسـم على الذكـور أو على الإناث أو على الصنفين؟ وهل يختلـف من بلـد عربى لآخـر طرق التـدوين المختلفـة لنفس الاسـم ، الاسم الـواحد يكتـب بطرق مختلفـة أو يُنطق بطـرق مختلفة ، الكُنـى والألقاب وصيغ التلميح التى ارتبطت بهذا الاسم ، ثم أخيرًا الأمثال الفصيحة أو الشعبية التـى ارتبطت بـالاسم . . وأخيرًا تم تجميـع بيانات مـوسوعيـة عن أشهر من تسمى بهذا الاسم فى التاريخ العربى الإسلامى ، لهذا نحن نتحدث عن عمـل متكامـل اشترك فيه عشرات العلماء والخبراء العرب مـن عديـد من بلادنا العـربية ، وكانت النتيجة دراسة فى اللغـة ، فى الاجتماع ، فى الثقافة ، فى الأمثال الشعبية .

نرجو الله سبحـانه وتعالى أن يكون فريـق العمل وكل الذين شـاركوا فى هذا المشروع قد قدموا عملا متواضعًا نسهم به فى تحليل الأسماء العربية ومن خلالها فى تحليل الثقافة العربية المعاصرة . .

أختتم حـديثى بتوجيـه الشكر مرة أخـرى لصاحـب الفكرة الذى تحمـل هذه الموسوعـة اسمه، ونـرجو أن يكـون فى هذا العمل قـدوة لحكومـاتنا ولـزعمائنا ولحكامنا العرب أن يقوموا بمشاريع تخدم للأمة ثقافتها . . لغتها ومستقبلها إن شاء الله ونبدأ على الفور مع زميلى الدكتور محمود فهمى حجازى .

«الأبعاد الثقافية لأسماء العرب»

أ.د. محمود فهمى حجازى *

عندما بدأت فكرة الاهتمام بعمل معجم لأسماء العرب، حاولنا أن نتعرف جهود السابقين فى تراثنا وجهود الأوروبيين فى هذا المجال، وحددنا بذلك بعض النقاط التى عاونت فريق العمل فى تنفيذ هذه الفكرة وتنميتها وتطويرها . . لاحظنا أن البحث فى أسماء العرب له جذور ضاربة فى تراثنا، لاحظنا أولاً تلك الجهود التى نعرفها فى المعاجم العربية العامة مثل تاج العروس، ولاحظنا أن جهودًا متميزة ارتبطت بعُمان «الاشتقاق» لابن دريد، تأصيلاً لهذا اللون من ألوان التأليف فى التراث العربى، وكل هذه المصادر أفادتنا بقدر ما تتيح من معلومات عن أسماء عربية معاصرة، لكننا أيضًا وقفنا على دراسات أوروبية فى علم اتضحت ملامحه، وهو علم أسماء الأعلام.

البدايات كانت فى إطار تكوّن فى دول أوروبية كثيرة بملامح معينة فى القرن التاسع عشر، والاهتمام بأسماء الأعلام فى تلك الدول أدى إلى بحوث لغوية، أدى إلى صناعة معجمات تطورت شيئًا فشيئًا، أدى إلى قوانين تنظم الأسماء فى الدول الأوروبية، أدى إلى تشريعات ذات أبعاد مختلفة جدا. بهذا التصور الذى أخذناه عن تراثنا وعن السمات المعاصرة أصبح واضحا لدى فريق العمل

* رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

أننا يمكـن أن نتجاوز هـذا كله إلى مـلامح جـديدة ، الجانـب اللغوى لم يعـد يكتفى بـالمعنى ، بـل فيه النطق والتـدوين والاشتقاق والتـأصيل ، وكـل هذا أصبح ممكنًا مما سيفصل إن شاء الله فى هـذا اللقاء ، ولكن لم نرد لهذا العمل أن يكون عملاً لغويا بحتًا ، بل أضفنا إليه تلك الأبعاد الثقافية والاجتماعية .

البعد الثقافى الذى أركز عليه كان هو العمـل الذى ركزت عليه مع مجموعة كبيرة جدا من الباحثين من مصر ومن خارج مصر، بالإضافة إلى الجهود المتميزة للمجموعة التى شاركت من سلطنة عُمان . . الرؤية الموسوعية أو الثقافية التى وُضعت فى إطار هذا العمل كانت هادفة إلى تعميق جانب محدد يتصل بأصول كل اسم اخترناه لهذا العمل فى تراثنا ، بعبارة بسيطة أشهر من سمى بهذا الاسم فى التاريخ .

وهذا عمل بدأ منـذ البداية بالتوازى مع جمع الأسماء ميـدانيا ، بدأت أعمال تمهيديـة فى هذا الاتجاه ثم صُقلت وحُـددت بعد ذلك ، المعايير التـى وضعت واتضحت بمضـى الوقـت كان فيهـا ما يـأتى . . التـوازن الثقافى بين القـديم والحديث ، وهذا معناه إذا وجـدنا اسمًا ما سُمى به فى التاريـخ شخصيات من الجاهلية ، صـدر الإسلام ، العصر العباسـى ثم العصر الحديث ، حـاولنا أن نوازن بـأن تكون الأسماء التى تذكـر مع اسم مـا لشخصيات من القديـم ومن الحديث ، حتى نعطى انطباعًا لاستمراريـة الاسم ، طبعًا هذا ممكن ، أحيانًا فى أحوال نجد الاسـم قديمًا ، ثم حدث انقطـاع ، ثم عاد للاستخـدام ، وعندئذ لابد من ذكر أسماء تمثل هذه الظـاهرة والتوازن الكبير بقدر الإمكان من المشرق والمغرب . . . إذا عـرفنا الاسم فى المشرق والمغرب حتـى نوضح أن ذلـك الاسم استخدم هنا واستخدم هناك ، وحتى ينتج ذلك ، فقد عدنا إلى كتب الطبقات بعضها صنف طبقًـا للقرون ، وبعضها طبقًا للتخصصـات ، وبعضها لظروف أخرى ، وكتـب الطبقات أفـادت كثيرًا فى معرفـة كثير من الأسماء . . «التـوازن

التخصصى» فلم نكن نريد لهذا المعجم أن تغلب فيه أسماء الفقهاء أو أسماء اللغويين أو أسماء الساسة، بل التوازن الكبير بقدر ما نستطيع فى إطار التخصصات.

كتبنا العربية أفادتنا فى جوانب كثيرة، وأرهقتنا فى جوانب أخرى، لأن بعض التخصصات ذات تمثيل محدود، ثم فى إطار آخر وجدنا توازنًا آخر عندما كنا نؤلف هذا المعجم فيه أسماء رجال وأسماء نساء، التراث العربى زاخر بأسماء الرجال، شحيح فى أسماء النساء، ولهذا اجتهدنا كل الاجتهاد حتى نغطى هذا الجانب، فلا يظهر ما يجعل هذا الجانب موضع نقد.

هذه المادة التى جُمعت اعتمدنا فيها على معاجم لغوية، معاجم متخصصة، معاجم مكملة، معاجم للمعربات القديمة، واعتمدنا على بعض المعاجم التركية والفارسية لتأصيل مجموعة أسماء، ثم على موسوعات لمعرفة أشهر من سُمى بهذا الاسم فى الإطار الإيرانى أو التركى أو وسط آسيا، كل هذا أدى بنا إلى الإفادة من عدد من المتخصصين فى اللغة العربية، فى الثقافة العربية، وفى التاريخ الإسلامى.

وقبل أن أختم هذه الكلمة أشير إلى بعض النقاط الرائدة فى هذا المعجم:

أولاً: أنه عمل عربى شامل فيه توازن شديد.

ثانيًا: أن فيه إفادة لأول مرة ـ فى عمل ثقافى لغوى موسوعى ـ من الحاسب الآلى فى بعض الجوانب الإحصائية.

ثالثًا: أنه خضع لتجربة شديدة فى التحرير المعجمى، وأوضح هذا بنقطة بسيطة... تركنا مجموعات العمل فى التحرير فترة من الزمن حتى نصقل بعض الخبرات، ثم جمعنا هذه الخبرات، ولأول مرة وضعنا نسقًا واضحًا

للتحرير . مثلاً بعد الاسم عندما نفتح القوس هناك التاريخ الهجرى ثم خط مـائل والتاريـخ الميلادى ثـم شرطة ثـم تاريـخ الـوفاة بـالتقويـم الهجرى ثـم بالميلادى ثم نغلق، ليس هناك كلمـة ولد سنة كذا . . . ولا توفى سنة كذا على الإطلاق، الكلمتان لو استخدمناهما فى المعجم يتضخم ربما مجلدًا كاملاً، ثم كلمـة «كـان» لا وجود لها . . مثـلاً عـن سيبـويـه وعـن الخليل «الغـوى كـذا وكذا» . . بـاختصار شديـد . . استخدام دقيـق للنقطة والفاصلـة وغير ذلك الإخراج بين الأبناط المختلفة، جـزء من تحرير المعجم - وهذا أول عمـل عربى مرجعى - تستخدم فيه هذه الطريقة حتى تضغط النفقات ويجىء فى صفحات مناسبة . . . وهكذا كان الإطار الثقافى لهذا المعجم .

المادة معاصرة مائة فى المائة فى المداخـل، لكن التأصيل الثقافى بـذكر أشهر مـن سمى بكـل اسم، إنما يـرجـع إلى تراثنـا على امتداده التـاريخى فى المشرق والمغـرب، من سلطنـة عُمان إلى موريتـانيا، وفى الـوقت نفسـه فقد أتحنـا لهذا المعجم بفضل تعاون وثيق بكل من قام بجهد فيه . . أتحنا له صقلاً فى صناعة المعجم أخذ مجهودًا واستقر بشكل طيب، وهكذا حاولنا أن يكون هذا المعجم كفكرة طيبة تحمل اسمًا كـريمًا، هو اسم جلالة السلطان قـابوس، وفى الوقت نفسه يكون عملاً مـرجعيا عربيا وبداية لأعمال عربية يمكـن أن تؤصل القيمة الثقافية للانتماء العربى الذى نحرص عليه . . .

«ماذا بعد موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب؟»

أ.فاروق شوشة *

أبدأ بتحية هذا الصالون وفكرته . . وأعتقد أن القاهرة صاحبة الصالونات العريقة فى ثلاثينيات وأربعينيات هذا القرن، هى العاصمة العربية التى تعرف معنى الصالون الثقافى والأدبى، ومعنى أن يجتمع الناس حول قضايا وموضوعات تشدهم أبعد قليلاً عن شواغل اليوم العابر إلى ما هو أعمق وأبعد فى الدلالة والمعنى . .

وأحيى التفاتة صاحب هذا الصالون إلى عمل مضت عليه سنوات، ربما كان الموعد الحقيقى لهذا الأمر أن يتم سنة ١٩٩٢ فى أعقاب صدور هذه الموسوعة، عندئذ كنا سنتكلم عنها كما لو كنا نقدمها لقارئ لم يسمع بها بعد، أما وأنها مقروءة وكُتب عنها الكثير وتداولتها مكتبات الناس فى معظم أقطار العالم العربى وللبعض من الكتاب عليها ملاحظات، فإنى أعتقد ابتداءً أن السؤال الذى ينبغى أن نتفق عليه بعد أن ينتهى هذا الكلام كله، هو وماذا بعد؟ . . . ما الذى ينبغى علينا أن نطرحه من تساؤلات بعد صدور هذه الموسوعة؟ الموسوعة كانت إجابة عن سؤال، السؤال خطر فى بال سلطان عُمان عندما تساءل عن اسم هل هو عربى أم غير عربى؟ . . فلما أُنبئ بأنه ليس فى

---

* شاعر وأديب وإذاعى مصرى كبير.

المكتبة العربية مرجع يُستعان به فى الإجابة . . كان هذا المشروع من بدايته إلى نهايته محاولة للحصول على إجابة .

وأعتقد أن أى مشروع حقيقى هو دائما المشروع الذى يكون قوامه الأساسى البحث عن إجابة ، هذا أمر، الأمر الثانى وأنا أبدأ هنا من انطباع شخصى ، أن هذا المشروع علمنا نحن الذين شاركنا فيه قبل قرائه وعارفيه ، أنه بالإمكان وسط الشتات العربى ووسط التشرذم ووسط الغربة الثقافية والسياسية والفنية ، ووسط الصراع يمكن أن توجد مساحة لعمل مشترك ، وعند ضفاف هذا العمل المشترك تلغى الحواجز والأسوار والمسافات والسياسات ولا يبقى إلا الجوهرى فى عصب هذه الأمة وفى تاريخها وهو الثقافة .

السياسة تُفرق . . الثقافة تجمع . . وقد كنا فى مشروع ثقافى ، من هنا كان التجميع ، ولذلك فإن الذين يجلسون أمامكم الآن أُتيحت لهم فرصة لا تتكرر كثيرًا لعمل لا يُتاح إلا فى ظل مؤسسات . . مؤسسات ربما قومية أو دولية . . مؤسسات يمكن أن ترعاها الجامعة العربية أو اليونسكو أو الأمم المتحدة ، أما أن يكون هناك عمل يبدأ من الهواية وينتهى إلى عمق التخصص بهذا القدر من الأسماء الصغيرة ، فهذا نموذج على أن الأرض العربية بحاجة إلى مواليد كثيرة تشبه هذه الموسوعة وتُضاف إليها وتُنتج بالفعل كما أُنتجت .

هذه الأعداد كما حدثنا الدكتور على الدين هلال الآن ، كان لها مستشارون وكان لها خبراء وكانت هناك اتصالات شبه يومية بين عواصم العمل فى المشروع القاهرة ومسقط أساسًا وبقية العواصم العربية ، وسيل من المعلومات ومن الرسائل يأتى فى كل يوم ليستوعب ويخزن ويحلل ويبحث ، كل هذا الفيض من العمل هو نموذج لما تستطيعه الأمة العربية أو الوطن العربى عندما يلتقى على قضية محورية .

لحسن الحظ أن الثقافة العربية ثقافة متداخلة ومتراكمة ولا يمكن الولوج من أحد أبوابها دون أن نجد أنفسنا أمام الأبواب الأخرى؛ نحن دخلنا من ثقب ضيق هو الاسم، وتصورنا أننا نتحرك فى رقعة تقاس بالأمتار، فإذا بنا لكى نصل إلى قرارة الموجة بحثًا وراء هذا الاسم إحصائيا ولغويا واجتماعيا وموسوعيا ـ وهذه هى الدوائر الأربعة التى تنظمها الموسوعة ـ وجدنا أنفسنا متصلين بالأدب حينا، بالثقافة بمعناها الشامل حينًا، بالسياسة حينا، بالاجتماع حينا، أى أن الثقافة العربية من ميزاتها الكبرى أننا عندما نلج من أحد أبوابها أو إحدى نوافذها المحددة فإنه لا يمكن الطرق على البنية الأساسية فيها دون أن نتحرك فى كل الدوائر، وفهمنا لماذا كان علماؤنا القدماء موسوعيين؟، لماذا كانوا ضد التخصص بالمعنى الذى نعرفه الآن عندما يصبح التخصص عمقًا فى الدائرة الواحدة وانقطاعًا عن بقية الدوائر.

لم يكن علماؤنا السابقون بهذا القدر من المحدودية، مع أن المحدودية الآن فى التخصص تعنى العمق، لكن كانت ميزتهم الشمول والرحابة والموسوعية، لذلك جاءت موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب تحاكى هذا النهج المعرفى الشمولى.

أنا بدأت بسؤال وماذا بعد؟ . . . ولابد من إجابات أو من محاولات للإجابة عن السؤال الآتى الذى يطرحه اكتمال العمل، أنا أتصور أنه لابد أن تعنى الجامعات العربية وهى تخطط لرسائل الماجستير والدكتوراه، ألا تتركها لاختيارات عشوائية أو اختيارات بعيدة عن الهدف المنشود وراء البحث الأكاديمى، نحن نسمع كل يوم عن عناوين مضحكة لرسائل جامعية لا علاقة لها بالصلب فى بنية الثقافة العربية الإسلامية ولا علاقة لها بالهم المطروح الآن ثقافيا وحضاريا، وإنما هى تحلق. . تبذل الجهد وتمضى السنوات لحاقًا وراء ما يسمى بالهامش فى البنية الثقافية. . أنا أتصور أن هذه الموسوعة صالحة

لكى تبنى عليها رسائل أكاديمية متخصصة تتناول العديد من الموضوعات، على سبيل المثال بنية الأسماء فى التكوين المعرفى العربى، البنية الصرفية للأسماء بين فاعل وفعيل ومفعول وغيرها، لدينا أسماء عديدة تأخذ كل هذه البنى المختلفة . . هل لها منطق؟ هل لها ما ينظمها من سياق؟ هل هناك اتجاه عام نحو بنى صرفية معينة تنظم حدود الاسم وصيغ الاسم، تتفوق على غيرها من هذه البنى الصرفية، هل هناك منطق، وهذا مجال للبحث.

أيضًا الدلالات الاجتماعية فى التسمية، والمعجم يطرحها للمتأمل كقارئ، لكن البحث الاجتماعى من شأنه أن يحول هذه الومضات التى يقف عندها القارئ لتصبح منهجًا، لتصبح رؤية علمية، لتصبح دلالة بعيدة، الأصول الاجتماعية التى تخللت عملية التسمية فى الوطن العربى عبر عدد من الأجيال تنتظم أسماءً، نحن تعاملنا مع اسم الأسرة، اسم الأب أو الجد والابن، الاسم الراهن الذى يمثل أحدث جيل . . لماذا تغير الاسم؟ لماذ قل الاسم؟ لماذا هو فى منطق الأسرة أقل من منطق الأب أو الجد؟ لماذا زاد فى البنية الراهنة؟ إلخ.

هذا يحتاج أيضًا إلى بحث وإلى بحث أكاديمى . . . أيضًا الدائرة الموسوعية فى هذا العمل تحتاج إلى دراسة أكاديمية، هل ما أنجبته الأمة العربية فى دائرة الفقهاء يفوق دائرة الشعراء، أم يفوق دائرة الكتاب أم يفوق أعلام الساسة؟، أى هذه الدوائر تحتاج إلى وقفة لتعرف الراهن المعرفى على مستوى التخصص فى البنية الثقافية والحضارية التى أنتجتها الثقافة العربية عبر العصور، خاصة ونحن فى مجال التسمية لا نقف عند عصر معين، وإنما أمامنا تاريخ الثقافة العربية مطروحًا أمام القارئ وأمام الدارس، الإحصاء الذى حوته أول دائرة فى دوائر هذه الموسوعة ممكن أن يكون مجالاً لدراسة فى الإحصاء وهكذا . .

إذن الاستخلاص الأول هو أن هذه الموسوعة تحتاج إلى بحوث أكاديمية

متخصصة تستطيع أن تجيب عن السؤال الراهن، وهو ماذا بعد؟ . . . أيضا هناك العمل الذى يلح عليه كثيرا الصديق العزيز الدكتور السعيد بدوى، أعتقد أن هذه فرصة ليحدثنا عنه فى هذه الندوة وهى فكرة الجمع اللغوى مرة أخرى، نحن نتكلم عن الخليل بن أحمد الذى جمع المادة اللغوية لأول مرة وهو يريد أن يضع معجم العين ثم ما تلى ذلك من كشوف . . إلخ .

كيف نستطيع بمنهج عصرى مستعينين بالحاسب الآلى أن نجمع ما نستطيع من مادة لغوية لمعجم عصرى جديد، لدائرة معرفية لغوية جديدة، للكشف عن أساليب ومنطق اللغة العربية فى البنية الأسلوبية، كيف تطورت الأساليب العربية عن تأمل الظواهر البلاغية فى السياق الإنتاجى الإبداعى عبر العصور الأدبية المختلفة، كل هذه مجالات للرصد والتأمل .

لقد تعاملت الموسوعة مع سبعة ملايين اسم . . انظروا الرقم!! سبعة ملايين اسم، نستطيع بالجمع اللغوى الآن أن نتعامل مع عشرات الملايين من المادة اللغوية، لن نقف عند سبعة ملايين اسم، إذن المنهج نفسه والوسائل نفسها والأساليب العلمية التى اتُّبعت هى خبرة فى جامعة السلطان قابوس فى مسقط، ويمكن الرجوع إليها كمخزون معرفى لغوى هائل ليتكئ عليه الباحثون الذين سيعملون فى مجال الدلالة الصرفية، الموازين، أو فى الدلالة الاجتماعية أو فى مجال الدلالة الحضارية إلخ . . لديهم هذا المخزون المودع فى مكتبة جامعة السلطان قابوس يضاف إليه ويستحضر وينشط الذاكرة العربية فى هذا المجال، نحن كما استمعتم أكثرنا من كلمة أول . . هذه أول . . هذه أول . . هذه أول، لأننا بكل بساطة كنا نبنى على غير مثال .

ليس فى اللغة العربية ولا فى اللغات الأجنبية التى تحدث عنها الدكتور حجازى معجم لغوى اجتماعى، هناك معاجم تقف عند الجهد اللغوى أو معاجم تقف عند الجهد الموسوعى، فيقول لنا من هم أشهر من تسمى بهذا

الاسم أو معنى هذا الاسم، وتقف عند الفهم اللغوى السريع، لكن معاجم تعنى بهذه الدوائر الأربع ويصبح فى مجال البحث اللغوى هذا العمق والنفاذ إلى صميم البنية اللغوية، لا يوجد. . . وبالتالى هذه الخاصية أو هذه الميزة هى التى جعلت كل من يتكلم يقول هذا أول.

إذا كان هذا المعجم هو أول وإذا كانت هذه الموسوعة هى أول ـ لأننا كنا نبنى على غير مثال ـ فأعمالنا القادمة لن تكون الأولى، لأن المثال أصبح موجودًا والمنهج أصبح موجودًا وكذلك العمل الميدانى المعرفى أصبح موجودًا، وبالتالى نحن ننفذ الآن إلى المستقبل مسلحين بخبرة ضخمة ليست موقوفة على هؤلاء الأربعة أو على مجموعة الخبراء أو المستشارين، وإنما هى ملك لكل من يقرأ المعجم ويحسن قراءته القراءة العميقة المتأنية.

أيضا هناك مجال لتأمل عمق الروافد التى صبت فى الثقافة العربية من خلال الثقافات الأساسية التى صاحبت الثقافة العربية الإسلامية عبر العصور، وأخص بالذكر الثقافتين الفارسية والتركية. . هاتان الثقافتان من خلال روافدهما فى العقل العربى منحتا المسمى العربى أكبر نسبة من التقسيمات الأجنبية تفوق بكثير النسبة التى سيأخذها عن اللغات الأوروبية المعاصرة.

إذ إن المشترك بيننا وبين هاتين الثقافتين والمداخل التى ينبغى أن توجد بين الثقافة العربية والفارسية والتركية، والتى بدونها لا يمكن إضاءة جوانب معرفية كثيرة لا فى الإبداع أو الفكر العربى ولا فى الفلسفة العربية ولا فى التصوف العربى ولا فى كثير من أبعاد المعرفة العربية ـ التى بكل أسف توقفنا عن انفتاحها مع وجود مشروع إنشاء معهد مصرى للثقافة فى مدريد ـ . . . كان النواة الأولى لإنشاء معهدين مماثلين فى تركيا وفى إيران، باعتبار أن هذه

الثقافـات الثلاث الإسبانيـة والفارسية والتركية هـى الدوائر الثلاث الأسـاسية المتصلة بالثقافة العربية الإسلامية .

كذلـك نحن وقفنا عنـد ما أنجزه طه حسين منـذ عقود، عندمـا زرع هذه البنية الثقـافية الأصليـة فى مدريـد دون أن نُعنَى بتنميتهـا ، وجاءت السيـاسة لتفسد كثيرًا بيننا وبين إيران ، وبيننا وبين تركيـا ، عبر عقود النصف الثانى من القرن العشرين وتوقف المشروع وتوقف البحث .

هذه كلهـا خواطر سريعة أقـولها وأنا أحاول الإجـابة عن سؤال واحـد ، هو ماذابعد؟ . . .

«المداخـــــلات»

«أ.د. على الدين هلال»

ربما إحدى القضايا فى : ماذا بعد . . . ؟ أن هناك بعض الدول العربية مثل تونس أصـدرت تشريعات تتعلق بالأسماء ، على سبيـل المثال إذا اختار الأب لابنه مثلاً اسما قبيحًا فمـن حق الدولة أن ترفض تسجيل هـذا الاسم ، وكانت إحدى الأفكار أثنـاء الإعداد لهذا المعجم فكرة التشريعات العـربية أو أن تهتم الجامعة العربيـة بإمكانية صـدور تشريعات ، وليس فى ذلك تقييـد على حرية المواطن ، فهـذا أمر غير مقبول وإنما هو نـوع من التوعية والتـوجيه وربما الإدارة الثقافية .

وفى الجامعة العربية ننظر فيما فعله الإخوة فى تونس ، ونرى ماذا يمكن لدول عربيـة أخرى أن تستفيـد منه . . . أيضًـا فى تسجيل بطـاقة الميـلاد أو بطاقـة النفوس تختلـف الدول العربيـة فى البيانات ، بعـض الدول تـذكر فقط ثـلاثة أسماء ، اسم الشخـص ، اسم الأب ، اسم الجد ، وغير مسموح للمـواطن أن يذكر اسمًا رابعًا أو خامسًا ، مثـال على ذلك بطاقة الميلاد فى مصر ، وهناك دول عربية أخرى يمكن للمواطن أن يكتب اسمًا رابعًا أو اسمًا خامسًا .

ربما جهد من الجامعة العـربية فى هذا المجال، هو من الأمـور التى تستحق الاهتمام .

«أ.د. السعيد بدوى ..»

أولا : أحب أن أجيب عـن تساؤل مؤكد أعتقـد أنه موجود فى أذهـانكم لما يحدث فى بعض البلاد العربية ، وأنا متـأكد أن الكثير من الحضور يتساءل عن سبب رعاية جلالة السلطان قـابوس لهذا المشروع . فقد جرت العادة أن تنسب المشاريع إلى الـرؤساء ويُقال هذه أفكـارهـم وكذا وكذا . . ويُعتقـد أنها ليست حقيقة ، ولـذلك فـإنه لابـد أن ألح على حقيقة مـؤكدة بـاعتبار أن فكـرة هذا المشروع فكرة خاصة نبعت من جلالة السلطان قابوس شخصيًا .

ثانيًا : هذا العمل حقيقة أنتج نوعًا من البحث العلمى الفريد وهذه ليست مبالغة ، هناك خطة كاملة لمسح لغوى حقيقى فى المجتمع المباشر، شىء لم يتم منذ الخليل بن أحمد الفراهيدى ، فهو الوحيد الذى جمع مادة لغوية مباشرة من المجتمعات ، أقصد أنـه ذهب إلى المادة وجمعها ، وهذا المعجم أيضـا ينشأ من فكرة أن الشخص واسم العلم المشهور ليسا أفضل اجتماعيا . . . « مساواة بين الجميع » .

المطلوب الآن حقيقة والذى ينقص الأمة العربية معجم لغوى عربى معاصر يضـم جميع الكلمات «المستحـدثـة» بالـذات التـى نشأت عـن طـريق العلـم والحضارة والتطور، لا يـوجد ـ وأرجو ألا تعتبروا هذا مبـالغة عربية ــ لا يوجد معجم عربـى يضم الكلمات العربية الحديثـة ، وخاصة تلك التـى نشأت فى السنوات الثلاثين والأربعين الأخيرة . . جميـع المعاجم التى تـدعى أنها تسجل المادة اللغـوية العـربيـة الحديثة غير صـادقـة ، وأبنـاؤنا الـذيـن يتعاملـون فى

الجامعات مع الظواهر والمفردات اللغوية الحديثة . . لا يوجد وسيلة لأى منهم أن يعرف المعنى المحدد الدقيق للكلمة العربية أو المعربة الحديثة ، وهذا خطر شديد على حياة الأمة وأفكارها ومستواها الأكاديمى ، فى المستوى الأكاديمى والعلمى والأدبى لا يمكن أن نكتفى بالأوهام فى معنى الكلمة ، أى متخصص فى أى مجتمع أوروبى عنده القاموس المعاصر يحتكم إليه عند الخلاف فى معانى الكلمات . . لا يوجد مثل هذا الكلام ، ما يقوم به المجمع اللغوى الآن مما يسميه المعجم الكبير لا يحقق ذلك أبدًا .

هذا تدمير لثقافة الأمة ، أن تكون الأمة العربية لا تجتمع على معانى الكلمات العربية . . يمكن أن نتكلم هنا فى مصر وسوريا وفى مكان آخر فى أية دولة عربية ونحن لا نتفق على معنى العبارة .

على كل حال هذا هو ما أردت أن أقوله فيما أشار إليه الأستاذ فاروق فى سؤال ماذا بعد . . ؟

إن هناك خطة وُضعت فى هذا المعجم ومسجلة لعملية الجمع اللغوى المباشر من الميدان ، وينبغى أن تطبق لجمع مفردات اللغة العربية .

«أ.د. صلاح فضل ..» *

فى البداية أود أن أهنئ الإخوة المشاركين فى صياغة هذا المشروع وإن كانت قد تأخرت التهنئة كثيرًا فى هذه السنوات ، وأريد أن أشارك فى الإجابة عن سؤال وماذا بعد . . ؟ لأن هذه التجربة تمثل بالفعل سابقة علمية ومعرفية

* أستاذ الأدب المقارن بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس .

وقومية، ينبغى ألا نتركها تمر دون أن تمثل خطًّا من الإنتاج الثقافى المعرفى العربى . . . د. السعيد بدوى أشار لمشروعه الطموح بالمعجم المعاصر، وأتفق معه فى ضرورة عمله، لكن طرح ضرورة أولى تسبق أولوية قصوى على هذا المعجم المعاصر وتمثل نقطة نقص فادحة فى المعاجم العربية، وهى افتقادنا لمعجم تاريخى لا يمكن لأى فرد ـ مهما كانت بطولته و إمكاناته ـ أن يقوم بعمل معجم تاريخى للغة العربية ، لابد أن تقوم هيئة ذات كوادر علمية متخصصة .

إن من حق الثقافة العربية أن يكون لها معجم تاريخى، وهذا هو المشروع القومى الحقيقى الذى يتطلب وجود هيئة وتمويل وجهد عشرات السنين، وحقيقة لو كانت هناك إمكانية لاستغلال كرم ومبادرة جلالة السلطان قابوس، فلابد أن نستغل هذا الكرم وتلك المبادرة فى تبنى مشروع المعجم التاريخى، لأن المعجم المعاصر يمكن أن يقوم به أفراد، وهناك كثير من البحوث التى يمكن أن تفيد فى هذا . . .

كلكم أخذتم الدكتوراه فى دراسات عن اللغة ، وبالتالى من السهل جدا التوسع فى هذه المادة وعمل معجم معاصر بين فرد أو فردين، لكن المعجم التاريخى هو نقطة النقص الفادحة فى الثقافة العربية .

«أ.د. كمال بشر ..»

أعبر عن سعادتى لهذا الحفل الكريم . . وبداية أقترح على معالى السفير أن يسميه منتدى الخليل بن أحمد بدلاً من صالون الخليل بن أحمد لأن اجتماع الكلمتين ليس لهما فى الواقع رنين عربى سليم وهذا اقتراح . . ولى عدة

ملاحظات . . أولاً المعجم الحديث موجود بصورة أو بأخرى ، يتمثل هذا فى معجم البعلبكى ، والمعجم الآخر هو المعجم الوسيط ، اللغة العربية بها مشكلات كثيرة ، وهى لا يمكن أن تحيا إلا بالاستعمال أو بالتنظيف الفعلى ، الكتابة لا تكفى لأن المكتوب ليس لغة بأية حال من الأحوال .

أعود إلى سؤال وماذا بعد؟ وهذا أهم سؤال فى هذه الندوة ، أنا أقترح شيئًا أشار إليه الأستاذ فاروق وهو أن جلالة السلطان قابوس ـ أو من يشاء من الزعماء العرب ـــ يقوم بمشروع يشبه هذا وربما كان أهم منه بالنسبة للجامعات ، هو تدوين كل أسماء الرسائل العلمية لدرجتى الماجستير والدكتوراه فى العالم العربى كله فى معجم ، وهذا المعجم ليس مجرد أسماء هذه الرسائل وإنما إعطاء فكرة عن كل رسالة حتى لا يكرر بعضنا بعضًا ، الشىء الآخر يضم إلى هذا مشروع آخر أو فى نفس المشروع ببليوجرافيا لكل المؤلفات الحديثة فى العلوم المختلفة بالعالم العربى .

يبقى الكلام عن المعجم . . كنت أود أن يكون هناك تحليل علمى لغوى اجتماعى لهذه الأسماء ، بمعنى ربط كل مجموعة من الأسماء بفترة زمنية معينة كربطها بعمل سياسى أو زمن سياسى معين ـ أنا لم أطلع على المعجم إلاَّ من فترة قريبة ولم أستطع الاطلاع عليه قبل ذلك ـ وتوزيع الأسماء على الفترات الزمنية لمعرفة الأسماء الأكثر شيوعًا فى هذه الفترات والمتصلة بالعملية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية . ومازلت أكرر أن المجمع يعمل ما يستطيع ويدخل الكلمات الحديثة المقبولة فى العالم العربى ، أما أن نجمع العاميات ونضعها فى المعجم فهذا لا يجوز بأى حال من الأحوال .

«أ. عبد العال الحمامصى» *

أولًا : أقدم الامتنان لهذه المبادرة النبيلة التى أقدم عليها جلالة السلطان قابوس من أجل إنجاز هذا المشروع الحضارى والذى كانت ربما تفتقده المكتبة العربية باعتباره سيكون ـ كما أشار الأستاذ فاروق شوشة ـ مرجعًا لدراسات أخرى ممكن أن تنبثق من هذا المشروع .

ثانيًا: أشكر معالى السفير عبد الله البوسعيدى لإقامته هذا المنتدى الذى يضم أساتذة الفكرة والأدب والثقافة فى مصر والعالم العربى .

ثالثًا: لدى بعض ملاحظات . . واسمحوا لى أنه ربما تكون الموسوعة نفسها قد أجابت عنها ، ولكن لم يتح لى ويخجلنى ويحزننى أن أقول إنه لم يتح لى إلى الآن أن أقتنى الموسوعة . . هذه التساؤلات هى أن د. على الدين هلال أشار إلى مصادر العمل لإنجاز هذا المشروع وأغفل نقطة مهمة ، إذ كان يجب أن يلجأ إلى دفاتر المواليد فى المكاتب الصحية المتعددة فى العالم العربى ، أيضًا أجهل هل حددت الموسوعة مرحلة زمنية معينة تعمل من خلالها وتستخرج بواسطتها الأسماء السائدة فى العالم العربى ، أم كانت العملية تقتصر على مرحلة تاريخية معينة؟ ، كذلك أشار د. هلال أنه منذ ٣٠ سنة لم يكن هناك اسم فتاة تسمى هويدا . . هل أغفلتم تأثير السينما والأغانى ، اسم هويدا مثلًا شاع فى مصر وربما فى العالم العربى عندما غنت صباح أغنيتها «هويدا» . كذلك هناك أسماء انتشرت فى فترات معينة مع تأثير الإخشيديين والفاطميين بسبب تأثير الأتراك ، وأيضًا هناك أسماء انقرضت تمامًا .

---

* كاتب صحفى بمجلة أكتوبر المصرية .

«أ.د. محمد جابر الأنصارى ..» *

فكرة المعجم هـى فكرة علمية وفريدة بـدليل ما أثارته مـن تساؤلات خلال هـذه الندوة والبحـوث المهمـة، كما يشكـر معـالى السيـد السفير عبـد الله البوسعيدى على هذه المبادرة فى إرساء هذا التقليد الثقافى فى القاهرة الذى يدل على وجود طرفين عربيين ثقافيين.

الأستاذ فاروق شوشة قال «إن القاهرة هى الوحيدة القادرة على إطلاق هذه المبادرة فى الصالونات الثقافية الحديثة»، لكن تقـاليد المجالس الثقافية العربية هى ظاهرة ثقافية معروفة مـن صنعاء إلى الكويت إلى دمشق إلى الرباط والدار البيضاء، فهذا مـن تقاليدنا العـربية وأؤكد للأستـاذ فاروق شوشة أن القـاهرة ليست وحدها لأنها لو كانت وحدها فسوف تبقى وحدها، ونحن دائما نتطلع إلى الأطراف المختلفة التى تتفاعل، وهذا ما نريده، وربما هو لم يقصد بوحدها شيئًا، لكننا نـريد أن نتجاوز هذه الوحـدانية إلى التعددية فى ثقافتنـا العربية، وأريد بهذه المناسبة أن أنبه إلى أن هناك حالات ثقافية متنوعة فى مناطق مختلفة من العالم العربـى، فقد تجاوزنا المركزية سواء للقـاهرة أو لبيروت ولم يعد العالم العربى ريفًا ثقـافيا لهاتين العاصمتين، ولكن هناك مدنًا ثقافيـة جديدة تظهر ونـأمل أن الثقـافـة العربيـة الجديـدة تمثـل حصيلة هـذا التفـاعل. . . هـذه ملاحظة. . لكن ذلك لا يقلل من دور العاصمة الثقافية الأم فى العالم العربى التى هى القاهرة.

أعود للعمل العلمـى الأول وهو الموسوعة. . سؤالى الأول أننـا استمعنا من خلال عرض الإخوة الـذين قاموا بهذا العمل إلى بحث ميـدانى مهـم، ولكن لم

* عميد كلية الدراسات العليا - جامعة الخليج العربى - البحرين.

يتضح الجانب الاستنباطى، يعنى ما مغزى هذا العمل فى النهاية، ما هى النتائج والخلاصات النظرية والفكرية التى يمكن التوصل إليها . . كل عمل علمى بالطبع جانبه الاستقرائى مهم، ودون شك أن هذا العمل قام على جهد استقرائى ميدانى كبير من خلال جميع المعلومات التى قدمها الإخوة، وهم أشاروا إلى جوانب استنباطية واستخلاصية، ولكن لم تتضح الصورة بعد فيما يختص بهذا الأمر. . . ؟

السؤال الثانى : أنه طالما أن هذه الموسوعة تعالج الأسماء، فهل بحثت فلسفة التسمية فى اللغة العربية؟ ليس فقط من حيث تسمية الأعلام ولكن من منطلق الآية الكريمة ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ .

الأسماء فى اللغة العربية ليست كلها أسماء الأعلام، وإن كل اسم عربى هو للأشياء وللأفراد والأفكار والماديات والمعنويات . . . هل تمت مقاربة هذا الجانب من قبل الباحثين؟ . . . أنا لم أطلع على الموسوعة، ولكن أعتقد أن هذه الندوة سوف تدفعنى إلى الاطلاع عليها والبحث والتنقيب فيها .

النقطة الأخيرة، أننى أميل إلى رأى د. السعيد بدوى لأننى أعتقد أنه من الناحية العلمية واللغة العربية أن البحث المعجمى العربى لم يتجاوز لسان العرب، وما ظهر من معجم وسيط وأشياء أخرى هو ملخص بسيط ومتواضع، ومن المستغرب أن تستطيع الحضارة العربية أن تنتج لسان العرب فى القرن السابع، وتجمد الجهد المعجمى العربى من القرن السابع إلى اليوم، فأين هو لسان العرب الحديث؟ . . وربما أن إنتاج معجم أسماء العرب بمبادرة جلالة السلطان قابوس يؤدى إلى ماذا بعد؟ العمل الأكبر هو لسان العرب الحديث .

«أ . أحمد عبد المعطي حجازي .. » *

أضم صوتى إلى صوت د . كمال بشر واقترح كـذلك أن يسمى منتدى بدلاً من أن يسمـى صالونًا طـالما أن النسبة من الإضافـة إلى أبى اللغة العربيـة وهو الخليل بن أحمد الفراهيدى .

كذلك أضم صوتى إلى كل الأصوات التى أجمعت على أن هذا العمل يمثل إنجازًا فريدًا ومفيدًا لنا وضروريا على كل مستوى، على مستوى الثقافة، وعلى مستوى السياسة، وقبل كل شىء على مستوى التوحيد، لأن جمع أسماء العرب فى معجم واحد يساعدنا على أن نختـار، طالما أن هذه الأسماء قد أُديرت حولها هذه الدراسـات المهمة وأصبح هناك معجم نستطيـع الآن أن نقتنيه وأن نختار منـه أسماء أبنائنـا، فتتجـدد هـذه الأسماء، وحين تصبح هـذه الأسماء جـزءًا مشخصًـا وممثلاً لهويتنـا فالاسـم لاشك هـو جزء مـن الهوية، وبـالتالى هـذه الموسوعة لابد أن يكون لها أثر كبير فى مستقبل العرب .

وأنـا لا أبالـغ فى أن أقول إن هـذه الموسـوعة يكـون لها من الأثـر الكبير إلى جانب أخوات لها سبقت وأخوات لها يتلون، وعندئذ نستطيع أن نأمل خيرًا فى المستقبل، لكن لدى سؤالا أخيرا سببه أننـى لم أطلع على هذه الموسوعة وسوف أعمد إلى الاطلاع عليها وأن أقتنيهـا وهو «من هم هؤلاء العرب الـذين ضمت هذه الموسوعة أسماءهـم؟ هل العرب هم فقط المسلمون العـرب؟ هل ضممنا إلى هذه الموسوعة المسيحيين العرب، مثـل أسماء البربر، الأكراد، الزنوج، وفى الجنوب اليهود العرب . . . إلخ؟

---

* شاعر وأديب مصرى .

«أ. سلوى العنانى ..» *

لى مـلاحظتان على حـديث د. على الـدين هـلال، الأولى تتعلق بتسجيـل أسماء المواليد فى مصر أنها ثلاثية. . تسجيل المواليد فى مصر رباعى، الملاحظة الثانية. . أنـه ذكر ريادة تونس فى مجال رفـض تسجيل الأسماء غير المحببة. . هذا القـانون مـوجود فى مصر، وهـو قانـون الطفل الموحـد الذى صـدر أخيرًا متضمنًا رفـض تسجيل اسـم أى مولـود يكون فيـه ما يـدعو إلى الضحـك أو السخرية.

«أ.د. محمد حماسة عبد اللطيف ..»

لى سؤال واحد فقط. . . لماذا سمى معجـم أسماء العرب؟ . . كلمة الاسم فى اللغة العـربية تعنى غير الفعل والحرف، وهـى نوع من أنواع العلـم، العلم يكون اسمًا ويكـون كنية ولقبًا، إذا قلتـم إنه نوع مـن أنواع الأعلام فهـل معنى ذلك أنكم أغفلتم اللقب وأغفلتم الكُنى. . ؟

«أ.د. أحمد عفيفى ..»

بالنسبة لما قالـه الأستاذ: عبد العال الحمامصى عن فكـرة السينما وتأثيرها، فهذا يشدنـى إلى ما قاله الأستاذ فـاروق شوشة عن «فكـرة دراسة الاجتماعيات ودراسة تأثير السينما أو المسرح أو الأغنيات»، ويشدنـى أيضًا إلى طلب توصية قالها الأستاذ فاروق شوشة، ولكن بشىء من التعديل بأن أطالب السيد عبدالله

* كاتبة صحفية بجريدة الأهرام.

البوسعيدى برفع هذه التوصية إلى جامعة السلطان قابوس، وذلك لتبنى هذه الدراسة ، وخاصة أن هناك بعض الإخوة المعيدين الجادين والمدرسين المساعدين ليبدأوا هذه الفكرة على الفور.

جزئية خاصة بفكرة المعجم التاريخى التى طرحها الأستاذ الدكتور صلاح فضل، وكنت قد طالبت بذلك منذ ما يقرب من خمسة عشر عامًا تقريبًا فى رسالتى للماجستير . . . وهذا أيضا يدعونا إلى فكرة د. كمال بشر فى محاولة إبراز مثل هذه الرسائل.

«د. خالد السرايرة .. » *

فى البداية أوجه الشكر إلى جلالة السلطان قابوس بن سعيد على ريادته لهذه الفكرة والعمل العلمى الفريد، وأشكر السيد عبد الله البوسعيدى على هذا المنتدى، وأود أن أقول أيضا إن الأسماء، وخاصة فى الأردن ارتبطت بطبقة اجتماعية معينة بحيث تكون دلالة إلى طبقة اجتماعية أو اقتصادية يهرب منها بعض الساكنين فى القرى من الأرياف ظنًّا منهم أن ذلك قد ينسبهم إلى طبقة أو مجموعة اقتصادية بعينها أو إلى مجموعة معينة.

«أ. أحمد بن سعود السيابى .. » **

فى التاسع من نوفمبر ١٩٩٦ طالعتنا جريدة عُمان ببشرى وبنبأ الجلسة الأولى من هذا الصالون الممتاز المنسوب إلى إمام اللغة الخليل بن أحمد

* المستشار الثقافى الأردنى بالقاهرة.

** أمين عام مكتب سماحة مفتى سلطنة عُمان.

الفراهيـدى الأزدى، والفضل فى ذلك يعـود إلى معالى السيد عبـد الله بن حمد البوسعيدى، وهـذا دليل على الربط الثقافى بين المجـالس الأدبية فى عُمان وبين الصالونـات الأدبية فى القاهرة، فكم هنـالك من حكايـات وروايات وقصص وقصائد أُنشـدت وأُنشئت فى تلك المجـالس العُمانيـة التى نسميها «بـالسبلة» وهو اسم عُمانى لمكان يجتمع فيه الناس.

يأتـى موضـوع معجم أسماء العـرب، وسواء كـان الموضوع صـدفة أو جـاء مدروسًـا. . ولست أقصد بالصـدفة الاعتباطيـة، فالصدفة لابـد لها أن تكون ناشئة عن تحرٍّ أيضـا، فهو عمل موضوعى لا يخرج عـن عمل الخليل بن أحمد الفراهيدى الـذى كان أول من وضع المعجـم اللغوى وسهل بذلـك أمورًا كثيرة على أمة العرب.

معجم العين الذى وضعه الفراهيدى كان الآية الكبرى والمعجزة اللامعة من معجزاته ـ وإن جاء عمل ابن دريد مـن بعده فهو من باب التكميل سواء كان فى اشتقاقه أو فى جمهرتـه ـ وعلى أية حال نحن نقدر هـذه الندوة وهذا الموضوع وهذا الـربط الثقـافى بين عُمان ومصر، كما أن معجم أسماء العـرب نعتبره ربطًا ثقافيا بين عُمان وسائر الدول العربية الأخرى.

تبقى لـدى بعض الملاحظـات، أولاها سـؤال موجـه للدكتـور على الديـن هلال. . هل الأسماء الموجـودة فى معجم أسماء العرب هى أسماء عـربية صرفة لأنها أخذت مـن محيط البلدان العـربية؟ فهناك جـاليات غير عربيـة، وهناك أسماء ليس لها اشتقـاق عربى وأسماء لأشخـاص لا ينتمون إلى أصول عـربية، هـل هذه الأسماء عُـربـت قسرًا فتركت مـن بين أسماء العـرب أم إنها أُخرجـت واعتبرت الأسماء الاشتقـاق، أم اعتبر الجمـود مـع الاشتقـاق فى وضـع هـذه الأسماء؟

كذلك أشار إلى أن الاسم له دلالة اجتماعية واقتصادية وثقافية . . . من وجهة نظرى أن الاسم عادة ما تكون له دلالة ثقافية فقط ، لأن الوضع المادى لا يكون له علاقة فى الاسم ، وهذا نلاحظه فى انتشار الأسماء فى الطبقات الفقيرة ، فنلاحظ الآن انتشار الأسماء التى أصبحت مشتركة بين جميع الطبقات .

بالنسبة إلى الأستاذ فاروق شوشة ذكر أن الإنتاج الثقافى يكون غزيرًا فى وقت الانحطاط السياسى . . بمفهوم المخالفة ، هل يعنى ذلك أنه عندما يكون هناك سمو سياسى يكون هناك انحطاط ثقافى؟ ، كذلك فيما يتعلق بمحدودية التخصص ، ما هو علاجه؟ التخصص مطلوب حاليًا فى الدراسات الأكاديمية ، بحيث إن الشخص يصبح كالسمك فى الماء إذا خرج منها لم تعد له حياة .

بالنسبة للدكتور السعيد بدوى . . المجمع اللغوى العربى هو ضرورة فعلاً من ضرورات هذه الأمة وعدم الاكتفاء بمعجم البعلبكى أو معجم الوسيط ، ولكن بطبيعة الحال يجب أن يكون هذا المعجم اللغوى ليس على حساب اللغة العربية الفصيحة بل يكون امتدادًا لتلك اللغة ، والشىء الوحيد الذى يفتخر به القارئ العربى بأنه فى وقتنا هذا يستطيع فهم لغة امرئ القيس وما قبله نتيجة التواصل الثقافى العربى الموجود ، لكن لو أتينا إلى اللغات الأوروبية القائمة على التطوير المستمر سنجد على سبيل المثال أن القارئ الإنجليزى المعاصر لا يستطيع فهم لغة العصر الشكسبيرى ، بل حتى لغة العهد الفيكتورى وهذا أمر يعترف به الإنجليز أنفسهم .

«التعقـــيبات»

«أ. فاروق شوشة ..»

أشكـر كـل مـن عقـب . . لكن أقـول إن أغلـب التسـاؤلات التـى أُثيرت مصـدرها عـدم قراءة الموسـوعة ، وأدرك أنـه ربما يكون ارتفـاع ثمنها سببًـا فى ذلك ، لـذلك فأنا مـن هذا المنبر أناشـد معالى السيد عبد الله البـوسعيدى أن ينقل الرغبـة إلى السلطنة بأن تعمل جاهـدة لدى مكتبة لبنان القـائمة على بيع وتوزيع هذه الموسوعة بعمل **طبعة شعبية** تكون ميسرة ومتاحة للجميع .

تعقيب د . الأنصارى بأن القاهرة ليست وحدها مركزًا للصالونات . . أنا لم أقـل ذلك ، قلـت القـاهرة تعـرف قبل غيرهـا مـن العواصـم العـربية معنـى الصالون ، وكان فى ذهنى عندما قلت هذا الكلام صالونات مى ، العقاد ، طه حسين ، وغيرهـم مـن الكبار ، لكن هناك الـديوانيات والمجالـس والأسماء هذه بالألـوف وتملأ الرقعة العـربية مشرقيا ومغـربيا ، وليس هنـاك شوفينية أتبنـاها وأقول إن القاهرة مركز والباقى هوامـش أو الباقى ريف حاشانا أن نقع فى هذا الخلط .

مـا يتصـل بـأن المعجـم كـان ينبغـى أن يضـم التحليـل ، والفلسفـة والاستنباطات . . هذا ليس دور أى معجم ، المعجم لا يقدم فلسفة وإنما هى تستخلص مـن خلال دراسـات ، وهو ما طـالبت بـه تحت عنوان سـؤال ماذا بعد؟

كذلك هناك مجلد كامل مع الموسوعة اسمه منهج البحث فى موسوعة السلطان قابوس لأسماء العرب، وداخل هذا المجلد المنهج، المسار، الخطوات التى تم اتباعها، التحليل، الإحصاء، الفلسفة التى حكمت العمل، الاستنتاجات السريعة التى أُتيحت لمجموعة البحث أن تصل إليها، وقد ذكرنا أننا بدأنا مع هذه الموسوعة صغارًا وكبرنا معها.

ما يتصل بنطق الأسماء والتدليل والتقبيح والاستهجان كله موجود فى الموسوعة فى الدائرة الاجتماعية، عندما جاء ذكر الاسم بطرق مختلفة، وكيف يدلل، وهذا الاسم اسم مرتبط أحيانًا بفيلم سينمائى شهير أو مطربة مشهورة أو سياسى بارز.

ولكن أنا كما قلت أساسها أن الموسوعة لم تُتح ولم تُيسر للقراءة، وبالتالى كانت هذه التساؤلات التى أفدنا منها ونفيد منها فى طبعات الموسوعة القادمة.

«أ.د. محمود فهمى حجازى ..»

أولاً: نحن بحاجة إلى كل المعاجم التى أُقترحت، معجم معاصر لأهداف علمية، معجم علمى كبير لرصد الاستخدام العربى الحديث، معجم تاريخى وغير ذلك، وما أحوج الأمة العربية إلى مؤسسة مثل لاروس وغيره.

ثانيًا: أسماء الرسائل فى العالم العربى، هناك بدايات قوية جدا فى العديد من الجامعات، والمؤسسات العلمية، والوقت الآن مناسب لدعم الجهود فى هذا المجال.

ثالثًا: بالنسبة للأسماء غير المحببة، يمكن تـوجيه وإرشاد الناس بشكل ما إلى حسن اختيار الأسماء.

رابعًا: لماذا سمى المشروع معجـم أسماء العـرب بدلاً مـن أعـلام العـرب، المعنى النحوى ليكن اسما أو علما لم يكن هو الجناح القوى فى هذا المجال، لأن كلمة علم ارتبطت بالمعنى الاجتماعى ونحن لم نـرد هذا، مقدمًا تم اختيار هذا الاسم، اسم «أسماء العرب» سواء أكانوا من المسلمين أم المسيحيين أم غيرهم، ثم معيار الشيوع هـو الذى حدد دخول اسم فى المعجم ودخـول آخر فى سجل أسماء العرب.

«أ.د. السعيد بدوى ..»

فيما يتعلـق بما قال د. بشر. . . أريـد أن أؤكد أننـى لم أقصد أبـدا الكلمات العامية ولو قصدتها لقلتها، ما قلته هو الكلمات العلمية والأدبية.

أيضًا الأستاذ. . أحمد بن سعـود السيابى قال إنه لا يوافـق على أن الاسم له معنى اجتماعى، المقصود بالمعنى الاجتماعى أنه هو الذى يحكم الاسم، وذلك لاختلاف الأحكام الاجتماعية من مجتمع لآخر.

الحلقة الثالثة *

«المدائح النبوية فى الشعر العربى»

«البوصيرى وشوقى والبهلانى والخليلى»

أدار الحلقة :

أ. د. صلاح فضل

الناقد الأدبى ـ أستاذ الأدب المقارن
بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

المتحدثون :

ـ أ.د. محمود على مكى ـ أستاذ الأدب المقارن بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

ـ أ.د. أحمد درويش ـ عميد كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس.

---

* انعقدت هذه الحلقة فى القاهرة يوم الأربعاء ٢٧ رمضان ١٤١٧ هـ الموافق ٥ فبراير ١٩٩٧ .

«كلمة السيد: عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى..»

بسم الله الرحمن الرحيم

السادة السفراء . . الأساتذة الأجلاء . . الأدباء والمثقفون . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . يسعدنى أن أرحب بكم فى الحلقة الثالثة من «صالون الخليل بن أحمد الفراهيدى الثقافى» ، والتى يأتى توقيتها فى الليلة الرمضانية التالية لاحتفال العالمين العربى والإسلامى بليلة القدر، مما يجعل منها مناسبة مهمة ليس فقط فى توقيتها ، ولكن أيضًا فيما تشكله هذه الأمسية الرمضانية من تحليق روحانى على جناح الشعر والإبداع بقراءة وتحليل نشأة المدائح النبوية لدى شخصيات معروفة من أقطاب الشعر العربى فى عُمان ومصر . فهذه المناسبة هى خير مناسبة فى هذه الحقبة الزمنية من الأيام الأواخر لشهر رمضان الكريم ، وهو الذى يهيئنا لهذا التحليق فى صفات وشخصية «محمد» سيد الكونين والثقلين من عرب وعجم .

أيها الحضور الكريم : إذا كان موضوع هذه الحلقة يعطى لها هذه المعانى

العظيمة ، فإن مشاركة علماء أجلاء أصحـاب رؤية واهتمام يعطى لهذه المعانى صورتها الروحانية الفريدة التى سوف نستمع إليها جميعًا من نخبة فريدة فى هذا المجال يمثلهـا كل من الأستـاذ الدكتور محمـود على مكى ، والأستاذ الـدكتور أحمد درويش ، بإدارة الناقد الأدبى الأستاذ الدكتور صلاح فضل . . شكرًا لهم جميعًا . . وأترك الحديث الآن للأستاذ الدكتور صلاح فضل رئيس الحلقة الثالثة لهذا الصالون .

«المعنى الروحى لشعر المدائح النبوية»

« أ.د. صلاح فضل »

إن هـذا اللون مـن الشعـر «المدائح النبويـة» هـى التـى يمكن أن تبقـى، وبـالفعل هـى الجديرة بـأن تبقى مـن شعر المدائح العـربية، لأن كـل المدائح الأخـرى كانـت فى حقيقتها عـن رغبة ورهبـة وكانـت جزءًا مـن آلية السلطـة ونظـامهـا فى المجتمعات القـديمـة، وبتغير هـذه الآلية فقـدت هـذه المدائح جوهرهـا ومشروعيتها مع التغيرات والتحولات الاجتماعية والثقافيـة والحضارية فى المجتمعات الحديثة، وأصبحـت مع هذه التطورات لا تـزيد ولا تضيف لا لقائلها ولا لمن قيلت فيه.

لكن المدائح النبويـة لم تنطلق لا عن رغبة أو رهبة بل انطلقـت عن حب، الحب لشخصية الرسول ﷺ والتعظيم له كنبى وكإنسان، هذا الحب الذى عُد المدرج الأول من مـراقى الروح ومراتـب التصوف، فقد اكتسبـت هذه المدائح مشروعيتهـا وجمالها وحميميتها مـن تصـويرهـا لهذه العلاقـة الإيمانيـة، علاقـة الإعجاب الحقيقـى بالنبى النمـوذج نبيًا وإنسانًـا، ولذلك فـإنها لا يمكن أن تتغير فى مذاقنا اليـوم، فمازلنا نقرؤها ونستمتع بها ونتقـرب بها ونجد فيها سلمًا

يعـرج بنا ويـرتقى إلى آفـاق الحالات الـروحية الجميلـة الظل ، وإن للمـدائح النبويـة الفضل المعطـر الذى يبقى فى الشعـر العربـى غير قابـل لأن تتجاوزه الأيام .

كما أن هذا اللون من الشعر ضرب نموذجًا بليغًا للتغلغل فى أوساط وقلوب النـاس جميعًا ، ونتـذكـر فى هـذا الصدد حلقـات الـذكـر فى أقاصـى القـرى والنجوع ، التى كان يتردد فيهـا هدير هذه المدائح باللغة العـربية الفصحى فى هذه الحلقات ، وكيف يمكن للشعر أن ينفذ إلى أعماق وجدان الشعوب ليعبر عنها مخترقًا كل الفواصل والفوارق اللغويـة الممكنة ، فهو لون من الشعر لم يُتح لشعر آخر مثل شعر المدائح أن يبلغ حبه قلب الإنسان العربى المسلم .

ولاشك أن مثل هذه النماذج التى تغلغلت فينـا وتسربت إلى كل مستويات المشاعر الروحية وحيـاتنا الباطنة ، هى التى تضمن نوعًـا من الاتساق الروحى فينا مهما كانت درجاتنا بعد ذلك من العلم أو المعرفة أو الثقافة .

ومن نـاحيـة رابعة فإن هذه الحلقة مـن صالون الفراهيدى تتنـاول هذا اللون من الشعر بكل أبعاده الروحية والحضـارية والتراثية من خلال أعمال أربعة من الشعراء العرب الذيـن يمثلون أقطابًا للشعر العربى ، فـالبوصيرى هو أول من دون هـذا السيـل من قصـائد المولـد النبـوى والمدائح النبويـة فى أوائل القـرن السابع ، وقد كان شاعرًا ، ولكن شعره ــ باستثناء المدائح النبوية ـ كان ضعيفًا وركيكًا إلى حد بعيد ، إلا أنه فى مدائحه النبوية نجد فيها ذلك التوهج الذى لا نجده إلا فى قصائده النبوية .

وشوقـى هو أشهـر من عـارض أشهر قصـائد المديح النبـوى التى نظمهـا

البوصيرى «البردة» والتـى تقف على رأس قصائده وأطولها إذ تبلـغ ١٩٠ بيتًا، والبهلانى والخليلى قدما حالتين شعريتين تكملان الصورة البديعة التى أكملها كل من البوصيرى وشوقى فى نوع من الأدب الـدينى الراقى الذى لا يقف عند مرحلة النظـم الدينى، وإنما يتجاوزه إلى مـرحلة التعبير عن المعانـى الدينية فى أطر مجازية وشعرية رائعة.

«نشأة المدائح النبوية فى الشعر العربى»

أ.د. محمود على مكى *

تعد المدائح النبوية أجمل صفحات المديح فى الشعر العربى، فهو مديح مجرد من الرغبة، لم يرتبط بعرض الدنيا وإنما ارتبط بشخصية حامل الرسالة سيدنا محمد ﷺ، وحينما نتأمل منشأ هذه اللون من المديح النبوى، فلابد أن نرجع بذاكرتنا إلى عصر الرسول ﷺ ومن أحاط به، فنحن نعرف أن الشعر كان سلاحًا استخدمه الإسلام والرسول ﷺ فى جهاده وكفاحه من أجل إقرار مبادئ الإسلام، ويعرف أنه كان للرسول ﷺ عدد من الشعراء أبرزهم حسان ابن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة، وكان يتقدمهم حسان بن ثابت الذى كان يحضه الرسول عليه الصلاة والسلام على الدفاع عن رسالة الإسلام وعلى الرد على من كانوا يتعرضون للرسول وللرسالة بالهجاء، فكان يقول له اهجهم وروح القدس معك.

نعرف أيضا فى عصر الرسول ﷺ تلك القصيدة الفريدة التى اشتهرت وهى قصيدة كعب بن زهير بن أبى سلمى، والطريف فى هذا الصدد أنه كان فى حياته الجاهلية وقبل إسلامه شريرًا شرسًا وكان بعيدًا عن أخلاق أبيه زهير بن

* أستاذ الأدب المقارن بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة.

أبـى سلمى الـذى نعرفـه بشاعـر الحق والخير والجمال، بدا ذلـك فى معاملتـه لزوجته وكثير ممـن حوله وبدأ حياته هـاجيًا للرسول، وكان لـه أخ يدعى بجير ابن زهير اعتنـق الإسلام مبكـرًا وكان يحض أخاه كعبـا على الدخـول فى دعوة الإسلام، إلا أن كعبًا كان شديد العناد واتصل بـه زعماء قريش فكانوا يحضونه على هجاء الرسول، الأمر الذى أغاظ الرسول حتى إنه أهدر دمه.

إلا أنه حين ضاقت به الدنيا لم يجد وسيلة إلا ما نصح به أخوه وهو أن يأتى إلى المدينة ويعرض نفسـه مسلمًا للرسول ﷺ، وحدث ذلك ولكـن الرسول بما فيه من كرم أخلاق ومن نبل ومن حرص على العفو، غفر له ما تقدم من ذنوبه وحين ذلك أنشده قصيدته المشهورة:

بانت سـعاد فقلبى اليـوم متبول   متيـم إثرها لم يجـز مكـبول

هذه القصيدة كانت منطلقًا للمدائح النبـوية فيما بعد، ولكن الطريف هو أننا نميز عند الأجيال التالية مباشرة لجيـل الرسول ﷺ والرسالة، لمن يهتم بهذه الناحية لم نجد تصويرًا لشخصية الـرسول ﷺ فى شعر صدر الإسلام بعد ذلك وإلى عصر بنى أمية أو بنى العباس إلا أشياء قليلـة، نتذكر منها قطعًا صغيرة لأبى العتـاهية وقصيدة غريبـة جدًا صاغهـا رجل لم يكن شاعـرًا بطبيعته وإنما كان نحويًـا هو محمد بن المستنير، فلـه قصيدة موجهة لشخصيـة الرسول ﷺ يبدو فيها شاعـرًا بمعنى الكلمة، فى الوقت الذى يعتبر فيـه شعر العلماء شعرًا ثقيل الظل إلى حد ما.

بعد ذلك نجـد شيئًا من المدائح النبويـة عارضًا فى قصائد شعـراء آخرين، على سبيل المثال السيـد الحميرى جهيل بن على الخزاعى، الشريـف الرضى، مهيار الـديلمى، هـؤلاء هم الذيـن يدافعون عـن قضية آل البيـت وحقهم فى

الخلافة ، وكان من الطبيعـى أن يدافعوا عن شخصية الرسـول ﷺ باعتباره هو المنطلق الذى تـولد فيه أهل البيت ، لكـن معالجتهم لهذا الموضوع كـانت شيئًا عارضًـا ، فهـم اهتمـوا بذكـر فضائل آل البيت وعلى بـن أبى طـالب ومَـن من سلالته أكبر ممـا اهتموا بشخصية الرسول نفسه ، ومـن ناحية ثالثة فقـد كانت هذه المدائح مصدر إلهام وقوة للمسلمين فى مواجهة القوى الخارجية التى تريد بالإسلام شرًّا .

ونجد عندما نتقدم فى الزمن أن الدول التـى قامت فى العالم الإسلامى اهتم أغلبها بهذه القضية ، نجد ذلك فى الدولة البـويهية التى نشأت فى أواخر القرن الرابع وحتى أوائل القرن الخامس فى العراق و إيران ، وفى مصر الفاطمية ابتداء من دخول المعز لدين الله الفاطمـى إلى مصر فى ٣٦٢ هـ ، حيث إنه ابتداء من هذا التاريخ نجد اهتمامًا واضحًا بالاحتفال بالمولد النبوى الذى أثار الشعراء فى تناول شخصية الرسـول شعرًا ، نذكر من ذلك القصـائد التى نظمت خصيصًا لشخصية الـرسول قصيدة السقـراطيسى ، التونسـى ، التوجرى . وتلـت ذلك بعض القصـائد عند شعـراء فاطميين ، إلا أن بدايـة الاهتمام بالمدائح النبـوية واختصاصهـا بالشعر كـان على عهد الأيوبيين ابتداء مـن عهد صلاح الـدين الأيوبى وهناك أسباب مهمة دعت إلى ذلك ، فنحن نعرف أن العالم الإسلامى ابتداء من أواخر القرن الخامس قد تعرض لهجمات الصليبيين الذين استطاعوا أن يقتطعوا أجزاء مـن دولة الإسلام فى بلاد الشام ، ونعرف بعـد ذلك أن العالم الإسلامى تعرض لمحنـة غزو أعنف وأشد وطأة من الشرق مـن جانب المغول ، هذه الأزمـات التى أحـاطت بـالعالمين العـربى والإسـلامى جعلـت الشعراء يتجهون بـأبصارهم وأرواحهـم إلى شخصية الـرسول ﷺ يستمدون منـه العون ويستمدون منها ما يعينهم على مقاومة هذين الغزوين .

ومن هنا فـإنه ابتداءً من عصر صلاح الـدين كانت المدائح النبـوية ، وكان يُحتفل لها احتفالات عدة ، كان أولها ما قام به أحد الأمراء الشاميين الذين كانوا يحكمون شمال العراق ومنطقة الشـام ، وهو أبو سعيد مظفر الديـن وكان قائدًا تركمانيا مـن قواد صلاح الدين الأيوبـى ، وكان من أبطال معركـة حطين وكافأه الأيوبى ذلك الوقت بأن ولاه على مدينة أربيل .

وقام أبـو سعيد بالاحتفـال على نحو بالـغ الفخامة ، بمـولد الرسـول وأقام احتفالات وصفها المؤرخون على نحو يدل على مدى الاهتمام الذى كانت تحظى به هـذه الاحتفالات . فقد كـانت تمتد لمدة أسابيـع كاملة ويشـارك فيها علماء وفقهاء وشعراء من شتى أنحاء العالم الإسلامى ، كما كان هناك شاعر آخر قدم من الأندلس وقدم لأبى سعيد مظفر الدين كتابًا فى مدح الرسول ووصفه ، كان يُقرأ طيلة أيام الاحتفال ، هذا الشاعر هـو الأديب الأندلسى ابن دحيا الكلبى الذى أقام فى مصر وتوفى فى سنة ٦٣٣هـ .

ولو أننا انتقلنا إلى المغرب لرأينا ظاهرة مماثلة فقد اشتد الزحف المسيحى على الأنـدلس فى أواخـر القرن السـادس ثم السـابـع ، حتى تسـاقطت كثير مـن الحواجز الأنـدلسية ، مما اضطر العـديد من العلماء والشعراء إلى الهجـرة إما إلى شمال إفريقيا أو إلى الشرق ، هذا الزحف الذى ماثل الزحفين الصليبى والمغولى على العـالم الإسلامـى هـو الذى جعـل الشعـراء أيضـا يتجهون إلى شخصيـة الرسول ﷺ لتبدأ بذلك سلسلة أخرى من المدائح النبوية .

وبدأ حاكم من مدينة «سبتة» التى تقع جنوب جبل طارق وهو أبو العباس أحمد العزفى ، الـذى كتب كتاب «العقد المنظـم فى مولد النبى المعظـم» وكتب كتابه هذا لأنه رأى أن الأندلسيين المسلمين كانوا يحتفلون بالأعياد المسيحية مع المسيحيين فى الأندلـس ، وكان ذلـك سببًا فى كتابـة هذا الكتـاب لكى يحض المسلمين على التخلى عن الاحتفـال بهذه الأعياد ، وعرض عليهم أن يستبـدلوا

بها الاحتفال بعيد المولد النبوى ، وبدأت بعـد ذلك سلسلة الاحتفالات بالمولد النبوى التـى شاعت فى مصر بعد ذلـك والمغرب على نطاق لا يقل فى فخـامته عما كان يحتفل به فى المشرق .

وقد استمر ذلك فى كـل بلاطات المغرب العربى والأنـدلس إلى أن سقطت الأندلـس فى أيدى المسيحيين ، وتخصص بعـد ذلك شعراء كثيرون أنـدلسيون ومغاربة فى هـذا الموضوع من أبرزهـم ابـن الخصال الذى ألف دواويـن كاملة ، وكلها قصائد تملأ مجلدًا كاملاً من كتاب أزهار الرياض للعالم المبقرى .

إلى جانـب ذلك رأينا ظاهـرة أخرى وهى كتـابة الرسائل والحضرة النبـوية ، وهى رسائل كان المسلمون يدونون فيها ما أصابهم من جراء أعدائهم ويعملون على طلـب المعونـة من رسـول الله ﷺ ، كـانوا يـرسلون بها إلى الحرم الشريـف وكانت دائما تريح نفسيـاتهم وتحث المسلمين على التصدى لأعدائهم وتناديهم بالجهاد فى سبيل الله .

نرى بعد ذلك فى أوائل القرن السابع الهجـرى أن بدأ هذا السيل من قصائد المولد النبـوى والمدائح النبوية ، وبالفعـل نجد أن هذه المدائح تم تـدوينها فى أواخر هذا القرن .

«المديح النبوى فى شعر البوصيرى»

فى أوائل القرن السـابع بـدأ هناك سيـل من قصـائد المولد النبـوى والمدائح النبوية وبـالفعل فقد اتضح أن هـذه المدائح بدأ تدوينها فى أواخـر هذا القرن بشخصيـة محمـد بـن سعيـد البـوصيرى الـذى عـاش مـا بين سنـة ٦٠٨ ـ وسنة٦٩٧ ، وامتدت حيـاته على مدى تسعين عامًـا ، وكان من أصل مغـربى وولد فى «أبوصير» فى مدينة بنى سويف . *

* إحدى محافظات الوجه القبلى فى مصر.

وقد كان موظفًا فى أحد الدواوين وكان شاعرًا، إلا أن الطريف أن شعره باستثناء المدائح النبوية كان لا يتسم بالتوهج الذى نجده فى قصائده النبوية، ذلك أنه حين كان يمدح الرسول ﷺ فلقد كان وكأنه قد خلق خلقًا جديدًا من الناحية الشعرية.

والبوصيرى له كثير من القصائد التى تكون ديوانًا كاملاً فى المدائح النبوية منها قصيدته الهمزية وهى تبلغ نحو ٤٥٠ بيت شعر، وهى من أجمل القصائد التى نُظمت فى سيرة الرسول ﷺ فهى تكاد تكون ملحمة كاملة، وله قصيدة طويلة أخرى لامية يرد فيها على مهاجمة النصارى واليهود للإسلام تبلغ ٢٧٦ بيتًا، وله معارضة لكعب بن زهير فى قصيدته «بانت سعاد».

ولقد كانت القصيدة التى اشتهرت وبرزت هى قصيدة «البردة»، ولها قصة يروى فيها أنه أُصيب بشلل ورأى الرسول ﷺ فى المنام فاستلهم من هذه الرؤية هذه القصيدة، وما إن نظمها - كما تقول الروايات - حتى نهض معافى من الشلل الذى أصابه.

ومن قصائده الهمزية :

كيف ترقى رقيك الأنبياء
يا سماء ما طاولتها سماء
لم يساووك فى علاك وقد حا
ل سنا منك دونهم وسناء
أنت مصباح كل فضل فما تصـ
ـدر إلا عن ضوئك الأضواء

لـك ذات العـلوم من عـالم الغيـ

ـب ومنـها لآدم أسـمـاء

ثم يأتى بعد ذلك يتسامى فى مديحه للرسول عليه الصلاة والسلام فيقول فى قصيدته المشهورة «البردة» :

محمد سيـد الكونيـن والثقليـ

ـن والفريقين من عرب وعجم

هو الحـبيب الذى ترجى شفاعته

لكل هـول من الأهـوال مقتـحم

فاق النبيـين فى خـلق وفى خُـلق

ولم يدانـوه فى عـلم ولا كـرم

والبوصيرى فى هذه الأبيات أشار إلى ما يسميه الصوفية «النور المحمدى» أو «الحقيقة المحمديـة» وأن الرسول ﷺ كان سـابقًا فى وجوده الكون كلـه ، وهذه حقيقة أكد عليهـا الكثير من الصوفية ، وغيرهم فى شعـر الكثير منهم ، ولكنها انتقلت أيضـا إلى الشعراء المادحين للـرسول ، إلا أن البـوصيرى لم يكن صـوفيا بمعنـى الكلمة ولكنـه كان تلميـذًا لأبى الحسـن الشـاذلى صاحـب الطريقـة الشاذلية ولتلميذه أبى العباس المرسى ، وله قصائد فى مدح هاتين الشخصيتين رغم أنه لم يعتنق التصوف كمذهب فكـرى ، ولكنه كان رجلاً متدينًا وانتقل إلى شعره و إلى بردته هذا الحديث عن الحقيقة المحمدية .

فهو يتحدث فى هـذه القصيدة عن بشائر المولـد النبوى ، بعد ذلك يتـذكر هذه الخوارق ، وهى خوارق فى الحقيقة ليست شرطًا بـالضرورة للإيمان بالرسالة

ولا للإيمان بالرسول، فنحن نعرف أن الإسلام قام على أنه دين عقلانى، فلا نعرف للرسول عليه الصلاة والسلام معجزات مثل موسى عليه السلام الذى حول العصا إلى حية، أو عيسى عليه السلام الذى يبرئ الأكمة والأبرص، إنما كانت معجزة الرسول فى القرآن، وكان الإسلام هو أقرب الأديان إلى العقل، فالإسلام لا يركز على هذه الخوارق كما ركزت الأديان الأخرى السابقة، ولذلك فإن الخيال الشعرى عند البوصيرى قد تناول هذه الخوارق وزاد فيها كثيرًا وانتقلت إلى كثير من المدائح النبوية.. يقول البوصيرى:

جاءت لدعوته الأشجار ساجدة
تمشى إليه على ساق بلا قدم

مثل الغمامة أنى سار سائرة
تقيه حر وطيس للهجير حمى.

أقسمت بالقمر المنشق أن له
من قلبه نسبة مبرورة القسم

وما حوى الغار من خير ومن كرم
وكل طرف من الكفار عنه عمى

ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وهنا نجد إشارة إلى عدد من الخوارق مع الأشجار التى كانت تحيى الرسول عليه الصلاة والسلام وتسلم عليه والغمامة التى كانت تظلله وإشراقة القمر، ثم بعد ذلك حينما ذهب معه أبو بكر إلى الغار ونسج عليه العنكبوت وباضت

الحمامة الأمر الذى جعل الكفار حينما كان يتتبعون الرسول ﷺ لم ينتبهوا إلى وجوده داخل الغار.

وقد ركز البوصيرى على قضية القرآن وإعجازه وبلاغة الحديث النبوى فيقول :

آيات حق من الرحمن محدثة
قديمة صفة الموصوف بالقدم
لم تقترن بزمان وهى تخبرنا
عن المعاد وعن عاد وعن إرم
دامت لدينا ففاقت كل معجزة
من النبيين إذ جاءت ولم تدم

ويلاحظ هنا أنه كان يقف موقفًا وسطًا بين المعتزلة وأهل السنة وكأنه بذلك كان يدين بالأشعرية التى كانت تقف فى موقف الوسط بين الاثنين ، ثم تناول بعد ذلك القصة التى برز فيها دور الرسول ﷺ فوق كل الأنبياء وهى قصة الإسراء والمعراج فيقول :

سريت من حرم ليلاً إلى حرم
كما سرى البدر فى داج من الظلم
وبت ترقى إلى أن نلت منزلة
من قاب قوسين لم تدرك ولم ترم
وقدمتك جميع الأنبياء بها
والرسل تقديم مخدوم على خدم

وأنت تخترق السبع الطباق بهم

في موكب كنت فيه صاحب العلم

إن معارضات بردة البوصيرى كثيرة، حيث يعرف أن عالم المعارضات فى هذا الشأن لا تكاد تُحصى، ومازلنا حتى اليوم نرى من الشعراء من تستهويهم معارضة البردة والنظم على منهجها، ونجد من بين هذه المعارضات مجموعة ذات هدف مزدوج، مدح الرسول من ناحية، وتفضيل أنواع البديع من ناحية أخرى، وهى المعروفة باسم البديعيات.

أنتقل الآن من القرن السابع إلى القرن العشرين ونتناول ما قاله أمير الشعراء أحمد شوقى.

«المديح النبوى فى شعر شوقى»

تعد «نهج البردة» هى أشهر معارضة للبردة فى العصر الحديث وهى لأمير الشعراء أحمد شوقى المتوفى سنة ١٩٣٢، وهذه القصيدة ليست هى الوحيدة التى نظمها شوقى فى المديح النبوى إذ إن له إلى جوارها همزيته النبوية المشهورة، وقصيدتين فى ذكرى المولد النبوى وأرجوزة فى السيرة النبوية مدرجة فى ديوانه «دول العرب وعظماء الإسلام»، هذا فضلاً عما ورد عن الرسول ﷺ فى عرض قصائده الأخرى، وهى إشارات ليست قليلة.

وتقف نهج البردة على رأس هذه القصائد، وهى أطولها أيضا إذ تبلغ ١٩٠ بيتًا، وتبدأ بمقدمة غزلية من الواضح أن الشاعر لم يأت بها إلا تقليدًا للشعراء السابقين، وربما أن هذه المدحة للرسول كانت فى غنى عن هذه المقدمة التى بلغت ٢٤ بيتًا منقطعة السبب بما بعدها حتى وإن قال فى نهايتها إن عفته

العـذرية تقـف حجابـًا بينه وبين تلـك المحبوبـة الخياليـة ، وهذا ضرب مـن الاعتذار يشبه ما قاله البارودى أيضًا عن النسيب الذى افتتح به مدحته .

وينتقل الشاعر بعد ذلك إلى مخاطبة نفسه واعظًـا إياها ومبديًا الندم على ما فرط من ذنوبه ، وهو يختم هذا الجزء بأبيات سارت مسار الأمثال حول التحكم فى الشهوات وكبح جماحهـا ، ويبدو هنا متأثرًا بأبيـات البوصيرى فى ذلك وإن كانت أبيات شوقى لا تقل عنها جمالاً فيقول مثلاً :

صــلاح أمرك للأخـلاق مرجـــعه

فقـوم النفـس بالأخـــلاق تستـقـم

والنفـــس من خيـرها فى خيـر عافية

والنفـس من شــرها فى مرتع وخم

تطغـى إذا مُكِّـنَتْ من لـذة وهـــوى

طَغْىَ الجياد إذا عضـت على الشُّكُم

ويصل إلى موضـوعه الرئيسى بعـد ٤٢ بيتًا ، ولكنه يقحم بعـد ذلك بيتًا لا نحسبه موفقًا فيه ، ويصف فيه نفسه بأنه أشعر من زهير بن أبى سلمى وأجود من هرم ممدوح زهير، ثم يشرع فى وصف الرسول ﷺ عما رأيناه من قبل فى شعر المبدع المتأثر بأفكـار الصوفية حول الحقيقة المحمدية ، فالـرسول ﷺ وهو غاية الله فى خلقه وهو صاحب الحوض يوم القيامة ، على حين يقف الرسل حائرين لا يعرفون متى يكون الورود لأنه النور الذى انبثقوا منه :

محمـــد صفـــوة الـــبارى ورحمـــته

وبغيــة الله مــن خـــلق ومن نســم

وصاحب الحوض يوم الرسل سائلة

متى الورود؟ وجبريل الأمين ظمى

نموا إليه، فزادوا فى الورى شرفا

ورب أصل لفرع فى الفخار نمى

حَواه فى سُبُحات الطهر قبلهم

نوران قاما مقام الصُّلب والرحم

وفى هذه الأبيات نفحة صوفية واضحة ومبالغات لم يجرؤ عليها شاعر قبل شوقى، ويقص علينا الشاعر بعد ذلك بعض ما يذكر من معجزات الرسول ﷺ منها خبر بحيرا المعروف، وتفجر الماء من بين أصابعه وتظليل الغمامة له، وله فى هذه المعجزة تعبير رائع إذ يقول إن الغمامة التى ظللته إنما كانت تستظل به:

وظللته فصارت تستظل به

غمامة جذبتها خيرة الديم

ويعبر بعد ذلك عن نزول الوحى عليه وأول آية نزلت من آيات القرآن فى بيتين من أروع ما فى القصيدة:

ونودى اقرأ تعالى الله قائلها

لم تتصل قبل من قيلت له بفم

هناك أذَّن للرحمن، فامتلأت

أسماع مكة من قدسية النغم

ويصل شوقى ذلك بالحديث عن معجزة القرآن الخالدة المتجددة على حين أن معجزات سائر الأنبياء قد انقضت بانصرام أيامهم :

جاء النبيــون بالآيـات فانصرمت

وجئتنا بحكيـم غيـر منصـرم

آياتـه كلـما طـال المـدى جُـدُد

يزينهـن جـلال العتق والقـدم

ويفـرد شوقـى بعد ذلـك أبياتًـا حول خبر الإسراء والمعـراج وهى مـن أجمل أبيات القصيدة إذ فيها تسام روحى يتفق مع جلال الحدث فيقول :

أسـرى بـك الله ليـلاً إذ ملائكه

والرسل فى المسجد الأقصى على قدم

لما خطـرت به التفُّـوا بسيـدهم

كالشـهب بالبدر، أو كالجنـد بالعلم

صـلى وراءك منهم كل ذى خـطر

ومـن يفـز بحبيـب الله يأتمـم

جُبْتَ السـموات أو ما فوقهن بهم

عـلى منـورة دريـة اللجـم

حتى بلغـت سمـاء لا يُطـار لها

على جناح، ولا يسـعى علـى قـدم

وقيـــل كل نبـى عند رتبـــته

ويــا محمد هــذا العـــرش فاستــلم

ويعود إلى ذكـر بعض معجزات الرسـول ولكن فى إيجاز سريع، ثم ينـاجى الرسولﷺ مثنيًا على بردة البوصيرى ومتواضعًا أمامه، إذ إنه يعترف بعجزه عن معارضتـه، ثم يعـود للمديح فيشيـد بشمائل الرسـول من حسـن وشرف وكرم ورفعة وشجـاعة وزهد فى الدنيـا، وعقد مقارنـة طريفة بينه وبين عيسـى عليه السلام فيقول:

أخوك عيســـى دعا ميتـا فقـام له

وأنت أحييـــت أجيــالاً مـــن الرمـــم

والجهل مـــوت فإن أوتيت معـجزة

فابعث من الجهل أو فابعـــث من الرجم

ويُنتدب شـوقى بعـد ذلك للدفـاع عن الإسلام إزاء مـن تهجموا عليـه منه مبخصيه مـن المستشرقين، وما يتردد على ألسنتهم مـن أن الإسلام ديـن حرب وأن انتشاره إنما كان بـالسيف، فيرد هذا التهجم بحجج ناصعـة، فالإسلام لم يستخدم السيف إلا بعد أن استنفد وسائل الـدعوة بالكلمة، وحينئذ لا يكون هناك مفـر من اللجوء إلى القوة، وهـو يشير إلى ما لقيه المسيحيـون الأوائل من الاضطهاد الذى لم يحسـم إلا بالدفاع المشروع عـن النفس، ويدافع عـن مبدأ الجهاد الإسلامى الذى التزم بقواعد خلقية ترعى فيها الذمم والمواثيق:

قـــالوا غزوت ورســـل الله ما بُعثــوا

لقتــل نفــس، ولا جـاءوا لسـفك دم

جهــل وتضـــليل أحلام وسفســطة

فتحت بالســـيف بعـد الفتـح بالقلم

والشـــر إن تلقه بالخيـــر ضقـت بـه

ذرعــًا ، وإن تلقـه بالشـر ينحـسـم

سل المسيحـــية الغراء : كـم شـربت

بالصاب من شهــوات الظـــالم الغلم

لــولا حمـــاة لهـا هبُّـــوا لنصرتـــها

بالسيـف ما انتفـعت بالرفــق والرحم

«نشأة المدائح النبوية فى الشعر العُمانى»

أ.د. أحمد درويش *

ينتمى فن المديح النبوى فى التراث العربى إلى شريحة المناجاة الدينية التى نتج عنها على تعاقب العصور لون المشاعر الرقيقة الصافية التى تجد فى عالم الشعر مناخها المناسب للترعرع والامتداد، وتجد فى لغة الشعر المجازية طريقًا معبرًا يستطيع أن يستوعب الفيض الوجدانى الخاص الذى تضيق عنه عادة لغة النثر بتراكيبها التعبيرية التى تجنح إلى التحديد، كما تحتاج هذه الفيوض الوجدانية إلى الإيقاع الذى يكاد يتولد منها تولدًا حتميا عندما تهتز النفس بالأشواق السامية من ناحية، ويساعدها على هز النفوس الأخرى والوصول إلى أعماقها من خلال الترديد والإنشاد الفردى أو الجماعى من ناحية أخرى.

وإذا كان شعر المديح النبوى ينتمى إلى شريحة المديح من الناحية التصنيفية الشكلية التى غلب إطلاقها عليه فإنه ينتمى فى معظم نتاجه إلى شعر «الرثاء» من ناحية التصنيف الموضوعى، حيث يعنى المديح فى التصنيف التقليدى «ذكر محاسن الأحياء» على حين يختلف عنه الرثاء كما يقول قدامة بن جعفر بأنه «ذكر محاسن الأموات» ومن ثم فإن الصيغة الغالبة على قصيدة المديح هى

* عميد كلية الآداب ـ جامعة السلطان قابوس ـ سلطنة عُمان.

صيغة «المضـارع» بكل مـا تستدعيـه من صيـغ «المزامنة» نـداء ودعاء ورجـاء ومواجهة، على حين أن الصيغة الغالبة على قصيدة «الرثاء» هى صيغة الماضى بكل ما تستدعيه من صيغ «الاسترجاع» تذكرًا وتمثلاً وإشادة واعتبارًا.

ومن هنا تكمن المفـارقة الواضحة فى التسمية التى شـاعت فى قصائد «رثاء الرسول»، واعتبارها قصائد «مديح» بـاعتبار أن «المرثى» حاضر هنا وماثل فى القلـوب، وملك مسيطـر عليهـا يهيمن على منـاخ «المضـارعة»، ولا يسهـل إدراجه فى تصنيف «الماضى» فهو ممدوح وليـس مرثيا، وقد حاول أمير الشعراء أحمد شوقـى أن يطور المصطلـح مرة أخرى حين سمـى قصائد المديـح النبوى بقصائد الدعاء. إذ يقول فى همزيته المشهورة:

مـا جئت بابك مـادحًا بل داعيـًـا

ومن المديـح تـضـرع ودعـاء

ولكن تسمية «المديـح» ظلت هى «البردة» الواسعة التى ينضـوى تحتها هذا اللـون مـن الغناء الـوجـدانـى منـذ بـردة كعب بـن زهير إلى مـدائح الشعـراء المعاصريـن. وشعر المديح النبوى ينتمـى من ناحية أخـرى إلى شريحة «الشعر الدينى» وإن لم يكـن من الضرورى أن يكون المبدعون المبرزون فيه مـن الوعاظ والـزاهديـن، فبردة كعب بـن زهير التـى مثلت «النمـوذج المحتذى» فى هـذا اللون، كتبت فى البـدء على يدى فاتك متمرد، دخل أهـل عشيرته فى الإسلام وأبى هو أن يـدخل، بل إنه عاداه وهجـا نبيه حتى أحل النبـى دمه، ونصحه أخوه «بجير» أن يجد لنفسه مخرجًا أو يسيح فى فجـاج الأرض بعيدًا عن الجزيرة العربية، فكانت قصيدته تلك التى كتبهـا وهو لا يأمن أن يمتد به حبل الحياة حتى يُلقيها، ولولا أنه جاء ملثمًا وطلـب الأمان قبل أن يكشف عن شخصيته ويلقى قصيدته، لطار رأسه بدلاً من أن تطير قصيدته شهرة فى آفاق الزمان.

والتاريخ يدرك كذلك أن زهديات «أبى نواس» كانت أجمل بناء وأبلغ تأثيرًا من بكائيات «أبى العتاهية» مع الفارق المعروف بين سلوك الرجلين وانتماءاتهما، فالقدرات الفنية لها مكانتها الواضحة فى إيصال الرسالة الشعورية لقصيدة المديح النبوى. لكن التجربة الدينية إذا أضيفت إليها هذه الطاقات الفنية كانت عامل إثراء مهم لقصيدة المديح النبوى.

ومن هذه الزاوية الأخيرة يستطيع تاريخ الشعر العربى فى عُمان أن يركز على ملمح خاص، يكمن فى ذلك التقارب الشديد بين الشعراء والفقهاء، وهو تقارب يجعلهما يكادان يتحدان معًا فى بعض الفترات التاريخية، فعلى خلاف كثير من المناطق العربية الأخرى، سادت المنظومات الفقهية «سيادة مطلقة» وأصبحت تكاد تشكل لغة «العلم الدينى» الذى كان يحتل بدوره مكانة «العلم الأساسى» ويكاد أحيانًا أن يكون «العلم» وحده، ومن هنا برزت ظاهرة الأسئلة والأجوبة المنظومة التى كان بمقتضاها يبرز الطلاب النابهون من خلال مقدرتهم على صياغة «سؤال منظوم» لأساتذتهم فى واحدة من القضايا الفقهية على أن يرد الأستاذ عليه بنظم مماثل يتضمن الجواب، ثم تتسع الدائرة فتكون الأسئلة متبادلة بين العلماء نظمًا، وتشكل منها كل أساسيات المعرفة فى تاريخ علماء عُمان، بما فى ذلك علوم التاريخ، والفلك، والطب، والتنجيم، وعلوم البحار.

«المديح النبوى فى شعر أبى مسلم البهلانى»

لقد جعل ذلك الشعراء الفقهاء، أو الفقهاء الشعراء يقومون بدور متشابك

حتى إن الأسئلة الفقهيـة المنظومة بإجاباتها التـى تبين حدود الحل والحرمة نظماً قد امتد مجالها إلى قضـايا «الغرام» فكان يـوجَّه لمفتى الغرام سـؤال يجيب عنه ، كما حدث مع الشاعر أبى مسلم البهلانى ، وكان فقيها قاضيًا عندما وجه إليه الشيخ سيف بن ناصر الخروصى سؤالاً حول حكم «عض وجنتى الحبيب» .

مفتى العصـــر ما على مستـــهام
عـض تفــاح وجنتـى الحبيـب
فانثـــنى مغضـبًا وقــال حــرام
عـض تــفاحنا بعيــن الرقيـب

فأجابه :

ما عــلى المســتهام إثــم بهـــذا
ورأى الإثــم راجــعًا للحبـــيب
هيـمان العشـــاق نــوع جنـــون
ومنـــاط التكـليف عند القـــلوب
مكِّنــونى أعـض منـــه كما شئت
وخــلُّوا بينـى وبيـــن الذنـــوب

إن هذا التشـابك الشعرى الفقهـى يساعـد فى تلمس مذاق خـاص لشعر المديح النبـوى لدى الشعراء العُمانيين على قلـة ما بقى لنـا من إنتاجهـم الذى ضاع ولاشك جزء كبير منه عبر العصور.

وربما كان الشاعر ناصر بن سالم بن عديم الرواحى المشهور بأبى مسلم البهلانى (١٨٦٠ ـ ١٩٢٠) نموذجًا واضحًا لهذا التشابك المعرفى والشعورى سواء على مستوى التكوين الثقافى، أو الإنتاج المكتوب شعرًا أو نثرًا أو الأداء الوظيفى وشغل المناصب أو التأثير التعليمى والتثقيفى أو الشعورى لدى الآخرين، ففى كل هذه الجوانب يصعب الفصل بين الشاعر فيها والفقيه عند أبى مسلم، وإن كان الحس الشعرى يعصمه من الوقوع فى المزالق التى تحدث نتيجة هذه التشابكات.

فقد كان قاضيًا دينيًّا بارزًا، وقد تولى منصب القضاء فى زنجبار فى عهد السيد حمد بن ثوينى، وكان صحفيًّا نابهًا أصدر واحدة من أوائل الصحف العربية بعد عصر الطباعة، وهى صحيفة «النجاح» التى كانت تصدر فى زنجبار، وكان ذا ثقافة دينية تجديدية يتابع كتابات الشيخ محمد عبده، وينتج عنه كثيرًا من مؤلفاته الفقهية الكبيرة وفى مقدمتها «نثار الجوهر»، وهو إلى جانب هذا كله وربما قبل هذا كله كان شاعرًا شديد التأثير، تنتقل منظوماته الدينية عبر حلقات الأذكار ومجالس الابتهالات فتنعش النفوس والقلوب، كما تنتقل قصائده السياسية على ألسنة الرواة سرًّا وعلانية فيكون لها مفعول قوى فى تعبئة الصفوف وتوحيد الكلمة والتمسك بهدف بعيد النظر.

لقد أغرت الناحية الشفوية والترديد الجماعى للشعر الدينى من قبل الجماعة التى أحاطت بالشاعر. أغرته أن ينتج لهذه القلوب الظامئة ماءها الذى ترتوى به، وأن ينتج للأسماع المتلهفة تنويعاتها الإيقاعية التى تبتعد بها عن الرتابة، فى الوقت الذى تظل فيه حائمة حول المحور الأساسى.

وفى هذا المجال قدم أبو مسلم جهدًا شعريًّا طيبًا حين دأب على التأمل فى المعانى الدينية لاستخراج إيقاعات مبتكرة منها، وجانب الصعوبة الفنى فى مثل هذه المحاولات، يكمن فى أن هذه المعانى طُرقت من قبل آلاف الشعراء،

ويكاد الشاعر للوهلة الأولى حين يقترب منها أن يـردد قول الشاعر القديم «ما أرانا نقـول إلا معارًا» ومع ذلـك فإن البهـلانى استطاع أن يستخـرج كثيرًا من الإيقاعات المبتكرة من هذه المعانى المطروحة .

لقد خصص أبو مسلم ديوانًا كـاملاً يبلغ مائتين وخمسين صفحة للتأمل فى أسماء الله الحسنى والفواتح والخواتم المتصلة بها ، وكان تعامله معها من الناحية الفنية فى معظم الأحايين تعاملاً جيدًا .

ولئن بـدا أن القصائد التـى خصصها للمديـح النبوى لا تتجـاوز عشرين صفحة فى ديوانـه ، فإن كثيرًا من قصائد الابتهال الإلَهى كانـت تتضمن فقرات طويلـة عن الحب النبوى بـاعتباره مدرجًـا للصعود إلى الآفاق العليـا ، بل إن بعض القصـائد التى وُضعت فى بـاب الإلَهيات تكاد تكـون خالصة للمـديح النبوى مثل قصيدة الخاتمة الأخرى التى تبدأ على النحو التالى :

وصـــلِّ وسـلم عد أسـرار كـل ما

لـذاتك من اســم بــدا أو بخفـية

وصـــلِّ وسـلم عد أسـرار جاهــها

ومقــدارها فى الشــأن والعظــمية

ويستمر فى ترديد الجملة الأولى «وصل وسلـم» فى صدر ثلاثة وعشرين بيتًا متتالية قبل أن يذكر المصلى عليه فى البيت الرابع والعشرين :

على المصـطفى الهــادى إليك محمــد

رسولك ختم الرسل خـير البريـــة

هـو الجـامع الأسمــاء جمـع تحقــق

ومشـكاة مصباح الصفات الجليلة

ويقوده هذا الانتقال إلى تحويل صدور الآيات من جمل فعلية إلى جمل اسمية تبدأ بالضمير «هو» الذى يحتل مكانًا خـاصا فى عالمى الذكر والإنشاد، ويظل الضمير يكـرر فى صدارة عشرة أبيـات متتـالية كلهـا تشير إلى صفـات مديـح الرسول حتى يقوده ذلك إلى بحر المناجاة والتوسلات التى تعود به إلى استخدام الجملة الفعلية، وخاصة فى صيغة الدعاء حتى تصل الخاتمة إلى ذروتها :

توســلت ملتــاذًا بسلـطان قربـــه

إليك وحســبى أن يكون وسيلتــى

ومن يتوســـل بالرســـــول محمـد

يــلاق المنى من عيــن كل رغيبـــة

وعلى هـذا النحـو تدور القصيـدة فى أبيـاتها التـى تربـو على الستين حـول شخصية الـرسول ﷺ حتى وإن أدرجـت فى باب الإلهيات، وهـو منهج يتردد بدرجة أو بأخرى فى قصائد عديدة من قصائد الإلهيات عند البهلانى.

أما القصائد التى قدمت تحت عنـوان «فى مدح الرسول ﷺ فهى تغترف إلى جانـب الفيض الشعورى الخاص من تقـاليد المديح النبـوى الممتدة فى التراث الشعرى على اختـلاف اتجاهاتها، فهى أحيانًـا تنزع إلى اتجاه صوفى يـدور حول فكرة «النور المحمدى» وكـونه أصل الوجود وأقدم الأشيـاء، ومن خلال صلة فكرة النـور المحمدى بـالوجود تتعـدد زوايا النظر إليهـا فى شعر أبـى مسلم، فمحمد عنـده غوث الوجـود، وسر الوجود، ونـور الوجود، وروح الـوجود، وأنس الـوجود، وأمن الـوجود، وعين الوجود، وعـز الوجود. . . إلـخ، وهى

كلها صور مجازية روحية يجد الإبداع الشعرى الصوفى من خلالها طريقه إلى الانطلاق والتجنيح ، وفى قصيدة تقترب من مائتى بيت تزدحم هذه التجليات المتصلة بالنور المحمدى من خلالها :

غوث الوجود أغثنى ضاق مصطبرى
سر الوجود استلمنى من يد الخطر
نور الوجود تداركنى فقد عميت
بصيرتى فى ظلام العين والأثر
روح الوجود حياتى إنها ذهبت
من جهلها بين سمع الكون والبصر
روح الوجود وهى الكرب العظيم وفى
أنفاس روحك ، روح المحرج الحصر
أنس الوجود قد استوحشت من زللى
وأنت أنسى فى وردى وفى صدرى
أمن الوجود أجرنى من مخاوف ما
أحرزت نفسى منها فى حمى الحذر

وهذا المنزع الصوفى يتكرر فى قصائد أخرى للبهلانى فهو يقول للرسول ﷺ مخاطبًا فى إحدى قصائده :

أهلاً بمن خلق الوجود لأجله
سر الوجود وفاتح الأقفال

أهلاً بمغـــنى العالمـــين بجـــوده

دنيـــا وأخـــرى غنيـــة المفضـــال

ونستطيع أن نشتــم فى هذا الاتجاه عنـد أبى مسلـم رائحة شعـراء الصوفيـة الكبار كابن عربى والحلاج والجنيدى والشبلى .

أما المنزع الثانى فى مدائح البهلانى النبـوية ، فهو ما يمكن أن يسمى بالمنزع التاريخى السردى ، وهـو ينتمى أيضًا إلى تقاليـد تراث قصيدة المديح النبـوية ، ويعتمـد على سرد أجـزاء مـن السيرة النبـويـة ، وليـس مـن الضرورى فى كـل الحالات أن تكون هـذه السيرة مطابقة للأحـداث التاريخية الموثقة ، فقـد تجنح أحيانًا إلى ما يمكن أن يسمـى بالسيرة الشعبية ، وهى السيرة المعتمدة على سرد الكرامـات والمعجزات مثـل حنين الجزع وبكاء الغزالـة وغيرهما من الـوحدات التـى ما تـزال تشكل صلـب قصيـدة المديح النبـوى فى الآداب الشعبية عنـد «شاعـر الربـابة» مثلاً ، وأحيـانًا مـا يتم المزج بين الرافـدين كما جـاء فى همزية البوصيرى وغيرها من القصائد التى حذت حذوها ، وأبو مسلم يلجأ إلى السرد التاريخى فى مثل قوله :

وكـــان أميـــنًا فى قريـــش محبـــبًا

إليها بصـــدق الوعـــد قبـــل النبوةِ

إلى أن أتى جبـــريل بالحـــق من لدى

الإلّه ونـــال الجهـــد منـــه بغطـــةِ

فقال له «اقـــرأ» قـــال : ما أنا قـــارئ

فقـــال لـــه (اقرأ باسم ربك) واثبـــتِ

وقم وادع واصدع بالذى جاء فى الورى

ولا تبتئس واصبر على كل نكبةِ

أما المنزع الثالث فى قصيدة المديح النبوى عند البهلانى، فهو منزع «الزخرف البديعى» وهى طريقة تمتد جذورها الأولى إلى عصر شعراء «البديعيات» وهى أنماط من القصائد، كان يعمد الشعراء فيها إلى أن تكون القصيدة مكتوبة فى مدح الرسول، ويشتمل كل بيت منها على محسن بديعى، بحيث تكون القصيدة فى ذاتها تسجيلات لأنواع المحسنات البديعية كأن تبدأ القصيدة مثلا بقول الشاعر:

«إن جئت «سلعا» فسل عن جيرة الحرم»

فيكون فى البيت جناس تام بين «سلعا» و «سل عن »، وأبو مسلم البهلانى يلجأ إلى نوع فريد من البديع فى قصيدته التائية فى مديح الرسول، فهو يلجأ إلى ترتيب أبيات القصيدة وفقا لتتابع الحروف الهجائية، بمعنى أنه إذا كانت كل أبيات القصيدة تختتم بالتاء بحكم كونها تائية القافية، فإن كل بيت منها يبدأ بحرف من حروف الهجاء ويبدأ تاليه بحرف آخر على نسق تتابعى، الهمزة فالباء، فالتاء، فالثاء.. إلخ، وأكثر من هذا يحاول الشاعر أن يشيع فى البيت الذى يبدأ بالباء حروف الباء وهكذا.. وتسير بدايات القصيدة على النحو التالى:

أشمس أضاءت أم سنا وجه غرة

وليل سجى أم حالك الفود أبدت

بريق الثنايا لاح أم برق عارض

فهيج بلبالى وشوقى ولوعتى

تمنيــت من دهـــرى أفــوز بنظــرة

إليهـــا فهـل لى أن أفــوز بمنيتـــى

ثبت عـلى صـــدق الـــوداد فما انثنت

ولكنهـــا شحـــت علـــىّ بمهـجتى

وعلى هذا النحو يستمر توالى الأبيات ، فيبدأ الأبيات التالية بحروف الجيم ، فالخاء ، فـالدال ، فـالذال ، حتـى تكتمل الحروف الثمانيـة والعشرون ، فيعود الشاعر من جديد ليبدأ بيتًا بحروف الهمزة و يعقبه بيت بحرف الباء :

أتت نحـــوه الأمـــلاك من أمـــر ربـــه

ومـــا كـــان أمـــر الله إلا لرحمـــة

بطســـت ملى حكـــما ونـــورا فأبقـرت

عن القـــلــب حتى أفعـــمته بحكمة

ويستمـر على هـذا النمـط حريصًـا على أن يشيـع فى البيـت نغمـة الحرف المختار، محاولاً أن يتخلص من التكلف وإن كان يقـع فيه أحيانًا ، ولكن ذلك يقبل فى إطار الجهـد الكبير للسيطرة على حرف أبجدى واتخاذه مفتـاحًا لنغمة إيقاعية وترتيلة صوفية فى قصيدة مدح نبوية .

«المديح النبوى فى شعر عبد الله الخليلى»

أمـا الشـاعـر الكبير الشيخ عبـد الله الخليلى فهـو شيـخ الشعـراء العُمانيين

المعاصريـن ، وقد ولد فى أواخـر الربع الأول مـن هذا القرن الميـلادى من أسرة دينية وأدبية عريقة ظهر فيها الأئمة والعلماء والقضاة والشعراء .

وقد تمتع الشيخ عبد الله الخليلى منذ صباه المبكر بموهبة أدبية قوية تجلت فى كثير مـن المجالات نثـرًا وشعرًا ، وتميـزت موهبتـه بامتـداد جذورهـا فى التراثين العربى والإسلامى الأصيلين من ناحية ، ومجاراتها من ناحية أخرى لمستجدات الثقافة العصرية ومحاولة تفهمها بل ومجاراتها أحيانًا .

ومن هذا المنطلق فـإن إنتاج الشيخ عبد الله يتنوع ، فنجده يكتـب المقامات امتدادًا لعادات مـرعية عند الأدباء العـرب والعُمانيين خاصة ، ولعله مـن النفر القلائل جـدا فى الكتاب العرب المعـاصرين المعروفين الذيـن يواصلون كتـابة المقامات ، وله فيها كراسات مخطوطة ، وإلى جانب المقامات له كراسات أخرى من القصـص القصيرة أو الروايـات ، وهى تشبـه المقامـات فيما عدا أنها تتبـع الأسلـوب المرسـل الخالى من الجمـع والفـواصـل على حين تميـل مقامـاتـه إلى الأسلوب المجموع غالبًا .

أما الشعر فهو صاحب باع طويـل فيه ، وهو مطبوع غزير الإنتاج يميل إلى القصائد الطويلة ، ومازال يملى منها فى شيخـوخته الكثير ، وقد صدر له ديوان كبير بعنوان «وحـى العبقرية» ختـم كثيرًا من الفنـون الشعرية التقليـدية ، كما صدر له ديـوان صغير بعنوان «وحى النهى» اقتصر على شعر المنـاجاة والشعر الدينى ، وما تزال له عشرات القصائد التى نُشرت له فى الصحف أو أُلقيت فى المجالس بعد صدور هذين الديوانين وهى كفيلة بأن تشغل مجلدات أخرى .

وقد صدرت للشيـخ الخليلى فى شيخوخته تجربة شعـرية جريئة مـن الشعر القصصـى الحر ، وفى ديـوان أسماه «على ركـاب الجمهور» شـفَّ عـن مـوهبـة

قصصية متـدفقة وعن رغبة فى استيعـاب ومجاراة ألوان التجديد الشعـرى التى أخذ بها جيل أبنائه وأحفاده.

ويتميز شعـر المديح النبـوى عنده بعطـاء فنى مميـز، يشف عـن روح دينية صافية تأثر أداؤها الشعرى عنده بثـراء شعر التصوف وشعر المديح النبوى عند كبار شعراء هـذا المجال بدءًا من قصيـدة البردة وما حظيت به مـن معارضات ونسـج على المنوال والمنهـج ووصولا إلى ابـن الفارض وشـوقى مـن بعده، مـع مـلاحظـة أن شـوقـى يترك بصمات واضحة فى شعـر الخليلى، وأنـه مـوضـوع إعجاب من الشاعـر يتضح من الصفحات الأولى لديوانـه «وحى العبقرية»، فهو يقول فى صـدر الديوان: كان أكثر مـا يثنينى عن قول الشعـر بيتا حفظته عن شوقى وهو قوله:

«والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفـة
أو حكمـة فـهو تقطيع وأوزان

فقلت لا أقــوله حتى أكـون قادرًا وما ذلـك علــى الله بعـزيـز». وتنعكس كذلـك فى هذا الجزء مـن الديوان أنفـاس العشاق مـن المتصوفين أمثـال رابعة العدويـة وابن عربى والحلاج الـذى يعلن الشاعر فى مـوقف آخر أنه قـرأ عنه مسرحية شعرية فى الشعر الحديث هـى «مأساة الحلاج» لصلاح عبد الصبور، وللشاعر الخليلى مقطوعات غزلية صوفية رقيقة مثل قوله:

يا حبيبى أراك وسـط ضميـرى تتجـلى نـورًا بـه أتحلـى
يا حبيـبى جللت قدرًا فاعـزز بمشـوق إلـيك فى الـحب ذلا
ساقـه الشـوق للمنـام فلما قارب الوصـل ، هالـه ما تجلى

وتراءى لعينه شبح القصد فداني، ولم يكن يتسلى

إن في حضرة الحبيب مقامات عليها تفاوت الناس فضلا

وعزيز من ذلك في حضرة القدس لوجه الحبيب حين أطلا

وتراءت له الخيام فلما مال نحو الخيام نودي مهلا

وسقاه الهوى كئوسًا من الخمر المصفى فلم يكد يتسلى

ويمارس الخليلي لونًا آخر من الشعر الديني أقرب إلى طقوس التعبد، ويتمثل ذلك في نظم الأسماء الحسنى، وفي سرد تاريخ الرسول في مثل قصيدة «علم النبيين» الطويلة التي تصل إلى مائة وثمانية وستين بيتًا وتحمل عناوين داخلية لأسماء الغزوات ومراحل حياة الرسول، والقصيدة على هذا النحو تستجيب للنزعتين التاريخية والقصصية اللتين عُرفتا في شعر الخليلي من ناحية ولنزعة نظم العلوم التي ألفها التراث العُماني من ناحية أخرى، غير أنه حين يخرج على هذا السرد ويتجه إلى المناجاة يخلص له النفس الشعري ويمكن أن نقرأ له أمثال هذه الأبيات الجميلة:

يا رسول الهدى سلامًا كأنفا سك إذ أنت للحياة ازدهاء

من فؤاد كأنه الطائر المو ثق في الفخ عز منه النجاء

كلما داعب النسيم جناحيـ ـه هوت باضطرابه الأهواء

غره في علاه ما غرر الريـ ـشة في الأفق أنه الارتقاء

فهوت مرة وطارت مرارًا واختفت فهي خفة وخفاء

أو غرور الفراش في لهب النا ر إذ النار يتقيها الصلاء

نزق الحـــب هاجـس طالمــا طـــا شـت لديـه العقـــول والعقـــلاء

ومجىء القصيدة من بحر الخفيف وعلى قافية الهمزة المضمومة يذكر بقصائد الهمزيات فى المديح النبوى مثل همزية البوصيرى التى مطلعها :

كيـف يرقـى رقيـك الأنبيـــاء يا سـمـاء ما طاولتـــها سماء

ومثل همزية أمير الشعراء أحمد شوقى التى مطلعها :

وُلِـد الهـدى فالكائنات ضيـاء وفـم الزمـان تبسـم وثنـاء

بقى أن نقول إن إسهام الشيخ الخليلى مع تأثره بسابقيه يعكسان أصالة وقوة يضيف من خـلالها الشعراء العُمانيون الكثير إلى رصيد شعـر المديح النبوى فى الأدب العربى .

الحلقة الرابعة *

« التواصل الحضارى

بين مصر وعُمان »

أدار الحلقة :

أ. د.جمال زكريا قاسم

أستاذ متفرغ بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس

المتحدثون :

أ.د. محمد رجب عبد الحليم ـ أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم الدراسات الإفريقية ـ جامعة القاهرة.

أ.د. محمد صابر عرب ـ أستاذ التاريخ الحديث ـ جامعة الأزهر.

أ.د. يونان لبيب رزق ـ أستاذ التاريخ الحديث ـ جامعة عين شمس.

* انعقدت هذه الحلقة يوم الأحد ٣ صفر ١٤١٨هـ ـ الموافق ٨ يونية ١٩٩٧ وكانت ختام الموسم الثقافى للصالون ١٩٩٦ـ١٩٩٧م.

«كلمة السيد: عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى»

الحمد لله القائل: ﴿وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا﴾، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الداعى إلى المودة والتواصل بين أبناء الإنسانية.

أصحاب المعالى السفراء.. الأساتذة الأجلاء.. الأدباء والمثقفون.. الشعراء والمفكرون..

يسرنى فى بداية حديثى أن أرحب بكم، وأن أتقدم إليكم بخالص التحية والتقدير لتفضلكم حضور الحلقة الرابعة من صالون «الخليل بن أحمد الفراهيدى الثقافى»، وهى بعنوان: «التواصل الحضارى بين مصر وعُمان»، واسمحوا لى أيضا أن أتقدم بجزيل الشكر والإجلال إلى الأساتذة الكرام د. جمال زكريا قاسم، د. رجب عبد الحليم، د. يونان لبيب رزق، د. محمد صابر عرب، على تفضلهم بالمشاركة فى أعمال هذه الحلقة ببحوث متخصصة، والتى بلا شك ستكون قيمة ومفيدة لنا جميعا، لأنها ستعطى نبذة عن التواصل الحضارى بين بلدين عربيين شقيقين.

أيها الحضور الكريم.. ارتبطت الحضارة العُمانية منذ بداية التاريخ بمراكز حضارية بدءًا بمراكز الحضارة السومرية، الحضارة المصرية القديمة، حضارة

القرن الإفريقى وشرق إفريقيا، والمراكز الحضارية فى وادى السند. وهناك مسميات كميناء «قنا» ــ وإن كانت الدراسات تتنازعه ـ هل هو فى عُمان أم فى اليمن! ـ ولكن أينما كان فهو فى منطقة واحدة (الجزيرة العربية) . وبعض الدراسات الأخيرة قالت إن «قنا» هى شرق مدينة مرباط بـــ ١٥ كم بمحافظة ظفار فى سلطنة عُمان، ودراسات أخرى تقول إنها ـ على المجال الأوسع ـ بين صلالة فى عُمان وعدن فى اليمن ويقابلها اسم قنا «محافظة فى صعيد مصر».

هى إذن موجودة فى ذلك المكان سواء كانت على أرض عُمانية أو أرض يمنية، وهذا يعطينا شاهدًا على مدى الانطلاقة التى بدأت من عُمان، وبالذات من الجنوب حتى المراكز الحضارية فى الجزيرة العربية ومصر وشرق إفريقيا والقرن الإفريقى أيضًا.

وهذا المسمى «قنا» قد يكون مثل أسماء أخرى موجودة فى البلاد العربية كصور لبنان وصور عُمان، الجبل الأخضر فى عُمان وفى ليبيا، هناك أسماء متشابهة أعتقد أنها دليل وشاهد على مدى التواصل بين أبناء الأمة العربية الواحدة.

ودليل آخر، ولا أريد أن آخذ من بحث د. رجب عبد الحليم لأنه هو الذى سوف يتحدث عن جذور العلاقات التاريخية بين مصر وعُمان، ولكن أردت أن أوضح هذا، وأعطانى دليلاً آخر أن إيلنوس ذكر أن السفن التى كانت تأتى من الهند إلى مصر أو من مصر إلى الهند، كانت تقف فى هذا الميناء «ميناء قنا» أو «ميناء أوكلير» فربما يكون الميناءان فى مكانين مختلفين فى عُمان.

هناك طبعًا أدلة كثيرة على أن اللبان كان بداية التواصل الحضارى بين مصر

وعُمان ، حيث كان الفراعنة يستجلبون اللبان مـن ظفار ويستعملونه فى المعابد حتى إن الملكـة حتشبسوت أرادت زراعتـه على أرض مصر لكنه لم ينبـت لأنه يحتاج إلى بيئة خاصة .

استمر هذا التـواصل بين مصر وعُمان فى العصر الحديث ، وسوف تتعـرفون على الحقبـة التى كـانت فيهـا هجرات «الأزد» ، وعلى عصر السيـد سعيد بـن سلطان ومحمد على ، وغير ذلك من البحوث المقدمة ، لكنى أود التنويه إلى أنه بعد تولى جلالة السلطان قابوس المعظـم مقاليد الحكم فى عُمان ، كانت البعثة العُمانية الأولى متـوجهة إلى مصر العروبـة التى فتحت ذراعيهـا لشقيقتها عُمان وبدأت العـلاقات الـرسمية والدبلـوماسية ، وهـذا هو امتـداد طبيعى لجذور العلاقات التاريخية بين البلدين الشقيقين ، كما أن هذا الصالون ما هو إلا ثمرة أو نتاج لعلاقات ثقافية وتواصل ثقافى ، صالون عُمانى - مصرى - عربى ينطلق من القاهرة مدينة العلم والثقافة العربية .

أيها الحضور الكريم . .

لا أود الإطالـة وأعطى الكلمة لـلأستاذ الدكتـور جمال زكريـا قاسم ليـدير الحوار والمناقشـات ، ونحن استهدفنا مـن هذا اللقاء أن تكون هنـاك بحوث ، لكننا نعول كثيرًا على المناقشات التى سوف تدور فى هذا الحلقة .

مرة أخرى ، شكرًا للحضور الكريم ، وشكـرًا للأساتذة الكرام على بحوثهم التى سنستمع إليها .

«كلمة أ.د. جمال زكريا قاسم» *

شكرًا لمعالى السفير على هذه المقدمة القيمة، وكما تعلمون حضراتكم إن موضوع الندوة هو التواصل الحضارى بين مصر وعُمان عبر العصور.

ولعل معالى السفير أشار إلى أن التواصل الحضارى كان موجودًا بين مصر وعُمان منذ العصور القديمة، وهذا شيء طبيعى لأن هناك وحدة موضوعية لحضارة الإنسان ككل فى المنطقة التى يشغلها العالم العربى أو منطقة الشرق الأدنى القديم بحكم التعبير الذى يستخدمه علماء التاريخ القديم.

أعتقد أننا فى حاجة إلى استمرار عمليات الكشف والتنقيب للكشف عن أشياء جديدة تؤكد هذا التواصل الحضارى، لأن عمليات الكشف والتنقيب بدأت متأخرة فى عُمان، وعلى وجه التحديد مع بداية العهد الجديد فى عام ١٩٧٢ أو ١٩٧٣م، حينما استقدمت عُمان البعثات التنقيبية وأكدت أن حضارة عُمان ترجع إلى الألف الخامسة قبل الميلاد، وتتواكب مع الحضارات التى ظهرت فى مصر أو الحضارات المجاورة أو حضارات خاصة بمنطقة الخليج وعُمان وهى حضارة «مجان» وحضارة «دلمون» وغيرهما من الحضارات.

ولو انتقلنا إلى العصر الإسلامى ـ وسيعرض لنا د. رجب هذا العصر ـ لكن قبل أن أعطى الكلمة لسيادته، أود القول إن عُمان كانت أول من اعتنقت الدين الإسلامى، وحدث ذلك فى عهد الرسول ﷺ، وساهمت عُمان فى الفتوحات الإسلامية «قبائل الأزد» ووصلت حتى الأندلس.

ولعل المعلومات تتكشف عن العلاقات الاقتصادية التى توثقت بين مصر وعُمان، وخاصة فى العصرين الفاطمى والمملوكى، لأن العُمانيين بطبيعتهم

---

* أستاذ متفرغ بكلية الآداب ـ جامعة عين شمس.

التجاريـة والبحرية كانـوا وسطاء فى نقل التجارة بين الشرق والـدول الأوروبية مـرورًا بمصر، ولعل مصر اعتمـدت إلى حـد كبير فى احتياجـاتها مـن التوابـل والبهار على ما كان العُمانيون ينقلونه إليها من الهند ، وبرغم أن هناك معلومات إلا أنها مازالت متناثرة وفى حاجة إلى استجلاء ما غمض منها .

وما زلنا فى حـاجة إلى التنقيب فى المصادر الإسلاميـة واستجلاء معالم الفترة البرتغاليـة ، وهل المواجهة التـى قام بها المماليـك ضد البرتغاليين اعتمـدوا فيها على عُمان ، أم انفرد المماليك بها؟ . . . كلها أمور مازالت غامضة حتى الآن .

الصِّلات الثقـافية استمـرت ولعل الجامع الأزهـر كان لـه دور، وأعتقد أن هناك علماء عُمانيين تلقـوا علومهـم فى الأزهر، ومصر أسهمـت فى نشر التراث الثقافى العُمانـى وأذكر هنـا أن كتاب السـالمى «تحفة الأعيـان بسيرة أهل عُمان » طُبـع فى القاهـرة ، وربما يكشف التركيـز على المصـادر الإسلاميـة عن روابـط أخرى ، وخـاصة لو رجعنـا إلى السجلات المستنصرية أو صبـح الأعشى ، أو غيرهما من المصادر التى أشارت للروابط بين مصر وعُمان .

مصر كان لها دور أيضـا بجانب نشر التراث الثقـافى العُمانى وهو التعـريف «بالإباضيـة» ، وفى القاهرة وبنفقة من السلطان تيمـور بن فيصل نشر سليمان البارونى كتـابه «الأزهار الريـاضية فى أئمة وملوك الإبـاضية» وإن كان سليمان البارونى قصد إباضية المغرب لكنه عنى بالمذهب الإباضى . . لن أطيل فى هذا لكننى قصـدت تقديم د . رجـب ليحدثنا عـن الجذور التاريخية لعـلاقة مصر بعُمان .

«جذور العلاقات التاريخية بين مصر وعُمان»

أ.د. محمد رجب عبد الحليم*

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء وعلى آله وصحبه أجمعين.

فى البداية أوجه الشكر كل الشكر لمعالى السفير عبد الله البوسعيدى لتفضله بدعوتى لهذه الندوة المباركة، وأشكره مرة ثانية لأنه أتاح لى الفرصة لأجلس بين أساتذتى، وأمام جمع غفير من العلماء والأساتذة الكبار والسادة الضيوف والسادة السفراء.

حقيقة إن معالى السفير عبر عما يجول فى نفسى ونفس الجميع، من أن هذا الصالون الأدبى التاريخى يؤكد التواصل الحضارى بين الشعوب العربية، وما أحوجنا فى هذه الظروف الآن إلى هذا التواصل، خاصة ونحن نرى العالم من حولنا يتجمع وتتوحد الثقافات والأفكار، ونحن مازلنا فى بداية الطريق، فهذه دعوة طيبة وعمل جيد وممتاز نود أن يتمثله السادة السفراء الآخرون ويعقدوا عملاً مثله، حتى نفسح المجال أمام مزيد من التواصل الحضارى بين الشعوب العربية.

* أستاذ التاريخ الإسلامى ورئيس قسم الدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة.

الموضـوع الـذى سـأتحدث فيـه يشمـل شقين، الأول : لمحـة سريعـة عـن العـلاقات أو جـذورهـا بين مصر وعُمان فى التاريـخ القديـم ثـم فى التاريـخ الإسلامـى، بالنسبة للتـاريخ القديـم أشار معالى السفير إلى حقيقـة وأضيف إليها حقيقـة أخرى، فقـد أشار إلى أن الملكـة حتشبسوت بـأسطولها البحـرى وصلت إلى بلاد «بنط» والمؤرخون يختلفون فى مكـان هذه البلاد، هل هى بلاد الصومـال أم بلاد الشحـر التى تقـع الآن فى عُمان واليمن؟ . . مهما كـان الأمر فهذه الـرحلة وهذا الأسطول عـادا بالبخور واللبان وكثير مـن المواد الأخرى إلى مصر.

المحـور الأول فى العـلاقـات هـو التجـارة . . معـالى السفير أشـار إلى حتشبسوت، أما الحقيقـة الأخرى فهى أن عرب الجنوب كانـوا ملاحين مهرة، وهذه حقيقـة معروفة سـواء من هـم فى اليمن أو عُمان، سفنهم ذات المقـدمة العالية التى تشبه السفن العُمانية الآن والتى تسمى «البدن»، هذه سفن كانت تنقـل السلع إلى مصر وأوصلـت قومًـا من العـرب إلى مصر عن طـريق ميـنـاء القصير.

هذا فى التاريخ القديم، والدليل على هذا أن صاحب كتاب «الطواف حول بحر إريتريـا» والذى تم تأليفـه فى القرن الأول الميلادى . . قال «هـذه السفن التى نقلت هذه السلع كانت سفنًـا عُمانية، وإن عُمان كانت تصدر السفن إلى بلاد اليمن»، وعليـه فتجارة الشحر أو تجارة ظفار كانـت تصل إلى مصر سواء على سفن عُمانية أو سفن يمنية مصنوعة فى بلاد اليمن.

هذه السفن حملـت اللبان المر، الصبر، وأخبار وصور هذه السفـن منقوشة على جدران المعابد المصرية ومذكورة فى الكتابات الـرومانية واليونانية القديمة. هذا اللبـان، البخور استخـدم لتعطير المعابـد المصرية القـديمة، الصبر والمر

اللـذان كانـا يستوردان مـن عُمان أيضـا استخدمـا فى مجال التحنيط وبعـض المشروبات والأدوية التى كانت تستخدم لطرد بعض الأمراض من الجسم.

المحور الثانى فى التاريخ القديم، الذى يدل على التواصل الحضارى، وهو الهجرات العربيـة من الجنوب بالذات إلى مصر، ومنطقة بـلاد الحبشة، والقرن الإفريقـى عمومًـا، ولن أتحدث فى هـذا كثيرًا، لكننى أنقـل عبارات المؤرخين وفيهـا من الـدلالـة مـا يكفى، وخـاصـة أن بعض المفكـريـن يطـرح مسألـة «الهويـة»، والهويـة هنا كما قال جوهـر الصقلى أن أصل المصريين القدمـاء من بلاد العـرب الجنوبية، نزلـوا إلى شواطئ إثيوبيـا ثم تقدموا نحـو الشمال حتى دخلوا مصر.

جوستاف لوبون قال «سكان وادى النيل مزيج من عناصر مختلفة، العنصر السائد فيها هو العنصر العربى». هذا الكـلام قد نتفق معه أو نختلف، ففيه نقاش، لكن هذه أقوال مؤرخين وعلماء آثار، جوستاف هيكى وهو متخصص فى المصريات قال «سكـان مصر القدماء جاءوا إليهـا من شبه الجزيرة العـربية قبل ستة آلاف عام».

العالم الأثـرى المصرى أحمد كمال قال «أصل اللغـة المصرية القديمـة واللغة العـربيـة واحد، والاختـلاف الظـاهـر بينهما ليـس إلا نتيجة إسقـاط بعـض الكلمات فى بلاد العرب وبقائهـا فى واى النيل أو العكس»، وذكر أن المصريين القدماء أصلهم من جنوب بلاد العرب.

إذن مصر جاءت إليهـا هجرات، وربما تجاوزت هذه الهجـرات وادى النيل وتطرقت إلى شمال إفـريقيا وبلاد المغرب العـربى، حيث مازالـت بعض قبائل البربر تذكر أن أصولها تعود إلى أصل عربى.

هـذه لمحة سريعـة عـن التـاريخ القـديـم والتـواصل الحضـارى بين عُمان

والجنوب العـربى بصفـة عامة وبين مصر . نـأتى إلى التـاريخ الإسـلامى . . يمكن القـول إن التواصل الحضـارى بين مصر وعُمان يدور حـول عدة محاور، الأول الفتوحـات ، وفتح مصر على وجه التحديـد لأننا نتحدث عن عـلاقات بين مصر وعُمان ، ولابد من الإشارة إلى أن العُمانيين اشتركـوا فى فتح مصر بعدد وفير من الجيش الفاتـح ، واستقروا فى البلاد ولم يعودوا إلى بلادهم مـرة ثانية مما أوجد قرابـة دم بين الشعبين المصرى والعُمانى ، لكن نتساءل . . كيـف حدث هذا؟ وكيف وصل العُمانيون إلى الجيش الفاتح جيش عمرو بن العاص؟

عُمان تقـع فى الجنوب الشرقـى من الجزيـرة العـربية ، ومصر تقـع فى الشمال الشرقى مـن إفريقيا ، كيـف أتى العُمانيـون إلى جيش عمرو وكيـف وصلوا إلى مصر واستقروا فيها؟

أولاً لابد أن نـذكر أن عمرو بن العـاص له فضل كبير فى إرسال الـدعوة إلى عُمان ، ووصل فى عهـد النبى ﷺ إلى عُمان ليبلغ دعـوة الإسلام ، وعندمـا عاد عقب وفاة النبى ﷺ جـاء معه وفد عُمانى كبير، ولم يثبت أن أعضاء هـذا الوفد عادوا جميعًا لبلادهـم مرة ثانية ، بل بقوا فى عهد أبى بكـر الصديق ليشتركوا فى معارك الجهاد سواء فى الشام أو العراق أو مصر.

القائد الثانى هو حذيفة بن محصـن الغلفانى الأزدى ، وقد وصل عُمان بأمر من أبى بكر للقضاء على حركة تمرد فى مدينة «دبا» شمال عُمان ـ ولا أقول «ردة» بل تمرد فى هذه المدينة ـ وعاد هـذا القائد إلى مصر ومعه آلاف عديدة حوالى (٤ آلاف) من عُمان قيل إنه أسرهم بسبب الصدام الذى حدث على أرض «دبا» ، وعندما وصلوا المدينة المنورة أطلق سراحهم فيها بعد عمر بن الخطاب وقال «لا أسرى ولا سباء فى الإسلام ، أنتم أحرار» ، وبقوا فى المدينـة ثم انطلقوا إلى معركة الجهاد بعد أن استنفر الخلفاء الراشدون الناس إلى هذه المعارك .

القائد الثالث هو عكرمة بن أبى جهل وصل عُمان للمساهمة فى القضاء على حركة «دبا» وللقضاء على حركات أخرى وقعت فى «كندة» جنوب الجزيرة العربية، وبعد أن قضى على هذه الحركات عاد ومعه آلاف من سكان الجنوب.

وندع الطبرى يحكى النص فيقول «أوائل مستنفرى اليمن قدموا على أبى بكر، ومن بين مكة واليمن قدم عكرمة قافلاً وغازيًا فيمن كان معه من تهامة وعُمان والبحرين».

وماذا فعل أبو بكر بهذه الحشود؟ أرسلهم إلى جنوب بلاد الشام لمساندة حملة كان أرسلها لجس النبض قبل أن يرسل الجيوش الأربعة لفتح هذه البلاد، هذه القوات انضمت بقائدها عكرمة، إذن المدينة كانت مركزًا تجمع فيه عدد كبير جدا من عرب الجنوب، وخاصة عرب اليمن وعُمان قادهم عكرمة بن أبى جهل، وانضم بعدها للقوات الكبرى التى قصدت فتح بلاد الشام، وانضمت لجيش شرحبيل بن حسنة ومعاوية بن أبى سفيان، بعدها انضمت إلى جيش عمرو بن العاص الذى فتح فلسطين، وخاصة بعد مقتل عكرمة فى معركة اليرموك عام ١٣ هـ.

إذن عمرو بن العاص فاتح فلسطين انضمت إليه القوات التى كانت تتكون من اليمن وعُمان وكان قائدها عكرمة بن أبى جهل، وبعد هذا اتجه جيش عمرو لفتح مصر عام ١٨ هـ.

والحقيقة أن جيش عمرو بن العاص كان معظمه يتكون من عرب الجنوب، وإذا كنا نتحدث عن عُمان الآن، فنذكر أن من بين القبائل الكبرى فى هذا الجيش «الأزد ـ المهرة»، والأولى معروف شأنها فى الشمال والوسط العُمانى، والثانية جنوب بلاد عُمان، وكان «الأزد» يكونون خمس الجيش الزاحف إلى

مصر، «المهرة» تشكل سدس الجيش الذى ذهب لفتح الإسكندرية، وكانت «غافق» وهى من الأزد تكون ثلث هذا الجيش، وكانت «عـق» وهى قبيلة من الأزد تشكل كثيرًا جـدا من هذا الجيش، ومازال حتـى الآن فى ولاية «سمائل» واد يسمى وادى «العق» يسكنه الندابيون الآن والسؤال . . كيف نتأكد من هذا الكلام، وما هو الدليل؟ . . .

أمامنا دليلان :

الدليل على وجـود عُمانيين فى هذا الجيش خطط مدينة الفسطـاط، فعندما جاء عمرو بن العاص إلى مصر اختط هـذه المدينة التى تعرف الآن بحى مصر القديمة وبها جـامع عمرو بن العاص، وقسم المكـان إلى أحياء صغيرة تسكن كل قبيلـة حيًّا أو منطقة بـذاتها، ومن هـذه الخطط يمكننا التعـرف على قبائل عُمانية كانت ضمن هذا الجيش.

ومن الخطط التـى ذكرها ابن عبـد الحكم المتوفى عام ٢٥٧هـ والذى كتب تاريخ هذه الفتوحات هو والبلاذرى نستطيع أن نذكر مثلاً خطة «شبابة» «بنو بحر»، وهؤلاء من جنوب عُمان، خطة «رشـدة» وهـم عُمانيون، هذا فيما يختص بالناحية الأثرية فى خطط مدينة الفسطاط.

كتب التـاريخ تحدثـت عن شخصيات عُمانيـة بالاسم كـانت ضمـن هذا الجيش مثل منادى بـن أمية الدوسى الأزدى، وهو من جماعة مـالك بن فهم، وهو شـأنه معروف فى عُمان، وهو مـن «عبرى» من «زهران» ــ وعبرى والحمرا موجودة بهما قبـائل العبرى، وهناك الآن ولاية تسمى ولايـة «عبرى» فى عُمان ـ وهذا القائد شـارك فى فتح مدينة الإسكنـدرية كما شارك فيما بعد فى عهـد بنى أمية فى فتح جزيرة رودس وتوفى عام ٦٧ هـ.

مثال آخر، مـالك بن أبى سلسلـة السلامى الأزدى وشارك فى فتـح حصن

بابليون ومعه سيدنا الزبير بن العوام، ومن مهرة عبد الرحمن بن شماسة المهرى شارك فى فتح الإسكندرية، وكذا تميم بن فرع المهرى.

هذا عن **المحور الأول** وهو مشاركة العُمانيين فى فتح مصر.

المحور الثانى: هجرات العُمانيين إلى مصر بعد انتهاء مرحلة الفتوحات.

بطبيعة الحال أصبحت مصر قاعدة بحكم موقعها الجغرافى ومركزًا للحملات العربية التى اتجهت إما جنوبًا لبلاد النوبة وإما غربًا لشمال إفريقيا وبلاد المغرب والأندلس، ومن هنا جاء العُمانيون وغيرهم من العرب من شبه الجزيرة العربية للمشاركة فى هذه الفتوحات، لمقال ابن عبد الحكم مثلاً فى فتح إفريقيا التى تعرف الآن بتونس «كان هناك ٦٠٠ رجل مهرى أى من مهرة العُمانيين، و ٤٠٠ رجل من الأزد عام ٢٧ هـ وكانت حملة استطلاعية صغيرة».

الهدف الثانى من وصول العُمانيين إلى مصر بعد الفتوحات هو التجارة، والعُمانيون بطبيعتهم تجار من الطراز الأول، والهدف الثالث هو نشر المذهب الإباضى وسنتحدث عنه فيما بعد. . فقد ساعد على قدوم الهجرات عاملان: وجود ولاة من الأزد فى مصر، ففى عهد الخلافة الأموية كان هناك والٍ واحد، وفى عهد الخلافة العباسية كان هناك أربعة من ولاة الأزد الذين حكموا مصر، وبالذات من بنى المهلب، والمهالبة عُمانيون أو من أصل عُمانى، هؤلاء الولاة كانوا يأتون لحكم مصر ومعهم قومهم فيزداد الوجود العُمانى على أرض مصر.

وقد كانت الظروف السياسية فى دولة بنى أمية تدفع لوصول هجرات أو أفراد عُمانيين إلى مصر. اضطهاد الأزد فى بعض فترات التاريخ العُمانى. . مظاهر هذه الهجرة نجد أن قومًا من بنى هناءة العُمانيين ـ وهم مازالوا حتى الآن فى عُمان ـ يأتون إلى مصر فى القرن الثانى، هجرة قوم من «الحدان» ـ وهم

عُمانيون ـ يأتـون لمصر فى القرن الثانى الهجرى، ومازال حتـى الآن هناك جزائر تسمى جـزائر «بنى حدان» تقع فى النيـل بين قفط وأسوان، هجرة قـوم من آل الرحبى. . بنى النعيم وغيرهم.

إذن الوجود العُمانى على أرض مصر فى التاريخ الإسـلامى كان وجودا كثيفًا ومؤثرا وله دور. . فما هو؟ . . .

الدور الأول وهـو **المحور الثـالث** فى هـذا الحديث، هـو الـدور السياسـى والإدارى لـلأزد والمهـرة العُمانيين فى مصر، وقـد أشرت إلى هذا الـدور عنـدمـا ذكرت أن هناك بعـض الولاة ـ أربعة على الأقل مـن الأزد ـ حكموا فى مصر فى الخلافة العباسية، ولعل معاوية بـن أبى سفيان مهد فى عهده لهذا العمل حين قال لوالى مصر مسلمة بن مخلد الأنصارى «لا تول عملك إلا أزديًا أو حضرميًا فإنهم أهل الأمانة».

واستمر العمـل بعد ذلـك ونجد ولاة عديـدين مـن الأزد العُمانيين حكموا مصر، ومن أمثلتهـم أبو عون عبـد الملك بن يـزيد الهنائى الأزدى، وقـد جاء لمصر للقضاء على النفوذ الأموى فيها وبنى مدينـة العسكر التى ظلت عاصمة لمصر من عام ١٣٢ هـ، حتـى جاء أحمد بن طولون وبنى عاصمـة جديدة هى مدينة «القطائع» عام ٢٥٤هـ، وقد حكـم الهنائى هذا مصر ثمانى سنوات من عام ١٣٣ هـ إلى عام ١٤١ هـ.

يـزيد بـن حاتـم المهلبى وحكـم مصر من عـام ١٤٤ هــ ١٥٢ هـ، ثـم إفريقيا «تونـس والجزائر» ستة عشر عامًا كاملة، لأن العبـاسيين كانوا يثقون فى هذه القـوات، وهذه القـوات شاركـت فى القضاء على الثـورات والتمردات، سـواء من جـانب العلـويين فى مصر، أو غيرهـم، وقامـوا بدور حضـارى فى التعمير وبناء القصور والمدن مثل العسكر.

المحور الرابع هو الدور الثقافى والعلمى للأزد والمهرة العُمانيين فى مصر، وهو دور حضارى كبير، تـزول السياسة والسياسيـون ويظل هذا الـدور الحضارى الذى أثرى التطور الحضارى الثقافى فى مصر.

هؤلاء العُمانيون برزوا فى نـواح معينة من العلوم الإسلامية التـى كانوا يهتمون بها فى صدر الإسـلام، مثلاً فى علم الحديث . . الحافـظ أبو محمد عبـد الغنى الأزدى المصرى المتوفى عـام ٤٠٩ هـ، قـال عنه الـدارقطنى «كـان حافـظ وقته وإمام زمانه».

فى علم الفقـه، يزيـد بن أبـى حبيب الأزدى المتـوفى ١٢٨ هـ، وكـان فقيه مصر وقاضيها وقال عنه الليث بن سعد إمام مصر الكبير «عالمنا وسيدنا».

الربيع بن سليمان الجيزى الأزدى المصرى المتوفى عام ٢٥٦هـ ـ والذى مازال هناك شارع بالجيزة يحمل اسمه ـــ كان عالمًا كبيرًا فى علم الفقه، وروى عنه أبو داود والنسائى وأخذ عنه مسلم والبخارى وعن غيره من علماء الحديث «الأزد» فى مصر.

اللغة والأدب وأتـرك هذا للأدباء، أذكـر على بن حسن الهنائى المعـروف بـ «قراع النمل» نظرًا لقصر جسمه . . مهذب الدين أبو المحاسن المهلبى . . أبو العباس أحمد بن محمد المهلبى . . أبو الحسن على بن ظافر الأزدى.

كذلك فى علم التاريخ نجد أن هنـاك مصدرين لتاريخ مصر فى هذه الفترة من الفتح حتى عصر أحمد بن طولون فى منتصف القرن الثالث الهجرى، كتاب ابن عبد الحكم «فتوح مصر وأخبارها»، كتاب الكندى «ولاة مصر وقضاتها».

هذان الكتـابان اعتمدا بالـدرجة الأولى على رواة من الأزد والمهـرة، سلسلة الرواة التى أتى بها تعـود كلها إلى يزيد بن حبيب الأزدى المتـوفى عام ١٢٨ هـ،

وهو فقيه وكان أحد ثلاثة أوكل إليهم سيدنا عمر بن عبد العزيز أمر الفتيا فى مصر، كما أخذ ابن عبد الحكم عن عبد الرحمن بن شماسة المهرى عن عبد الله ابن عمرو بن العاص وعقبة بن عامر الجهنى، لأن ابن شماسة ويزيد كانا معاصرين للصحابة والتابعين الذين جاءوا فى جيش الفتح إلى مصر، الكندى صاحب كتاب «ولاة مصر وقضاتها» اعتمد أيضا على أستاذ أزدى كبير يسمى على بن الحسن بن قديد الأزدى المصرى وعلى رواة من المهرة أيضًا.

هناك شخصية ثالثة وهى الحسن بن محمد المهلبى وهذا الرجل كلفه الخليفة الفاطمى العزيز بالله برحلة يقوم بها لكشف منابع النيل، وقام برحلة طويلة لكشف هذه المنابع، ووصل إلى أقصى الجنوب فى السودان وضمن رحلته كتابًا عام ٣٧٥هـ، وللأسف ضاع هذا الكتاب لكن مقتطفات كثيرة منه بقيت عند ياقوت الحموى فى كتابه «معجم البلدان» و كتاب «البلدان» لأبى الفدا.

المحور الخامس والأخير، هم الإباضية ودورهم فى مصر، والمصريون سمعوا بهذا المذهب فى موسم الحج والذى كان موسمًا كبيرًا لتلاقى المفكرين والعلماء وطلاب العلم من نواحى البلدان الإسلامية المختلفة، وبعد أن سمع بعض المصريين عن هذا المذهب ذهب بعضهم إلى البصرة ـ المركز الأول الذى انطلق منه هذا المذهب ـ ليتعرفوا عليه ومنهم شعيب بن المعروف، أبو إسحق إبراهيم، محمد بن عباد، عيسى بن علقمة، وهؤلاء ذهبوا للبصرة ودرسوا المذهب وعادوا لمصر وبدءوا ينشرون هذا المذهب بين المصريين وأصبحوا شيوخًا لهذا المذهب، لكن هذا المذهب لم يُكتب له الانتشار الواسع، إنما بعض المصريين اعتنقوه، وخاصة فى مدينة الفسطاط ونواحى الصعيد والواحات البحرية.

فى النصف الثانى من القرن الثالث نجد شيوخا للمذهب الإباضى فى مصر منهم أبو عثمان موسى، هاشم بن نصر، محمد بن نصر، أبو أيوب وائل الحضرمى، محمد بن عبدالملك الحجازى، وظل وجود هؤلاء الإباضيين فى مصر حتى عهد صلاح الدين الأيوبى فى مصر، وحتى بعد عصره.

والسؤال . . . ما هو أثر الإباضيين فى مصر فى العلاقات مع عُمان؟ . . .

هذا الأثر لم يكن سلبيا بل إيجابيا، وخاصة فى مجال التواصل الثقافى والحضارى، ويتمثل ذلك فى عدة نواح؛ زيارات علماء المذهب فى البلدين «مصر أو البصرة أو عُمان»، فمثلاً رحلة الشيخ المصرى «أبو» المؤرخ عمر بن محمد المصرى الإباضى إلى عُمان فى النصف الثانى من القرن الثانى لمحاججة الإباضية بعد اختلافه مع علماء المذهب فى البصرة فعاد إلى عُمان ليأخذ الرأى من علماء المذهب هناك، كذلك أيضا رحلة شعيب بن المعروف إلى البصرة عام ١٦٨ هـ لمثل هذا الأمر، أيضًا وصول عالم عُمانى إلى مصر فى وقت متأخر وهو الفقيه محمد عبد الله السمائلى عام ٨٩٤ هـ.

النقطة الثانية فى هذا التواصل هى تبادل المراسلات والكتب العلمية والفقهية والأدبية واعتماد بعض علماء المذهب فى البصرة وعُمان فى مؤلفاتهم على بعض علماء المذهب المصريين، وهناك مثالان على ذلك:

أولهما: مدونة أبى غانم الخراسانى، وألف المدونة الصغرى والكبرى فى أربعة أجزاء، وتتحدث عن الفقه الإباضى وما هى إلا رواية لستة من تلاميذ أبى عبيدة بن مسلم بن أبى كريمة التميمى، وهو الرجل الثانى للمذهب فى البصرة بعد وفاة جابر بن زيد إمام المذهب. وهؤلاء التلاميذ الستة منهم ثلاثة مصريون: محمد بن عباد، عبد الله بن عبدالعزيز، أبو المؤدج عمر بن محمد، والتقى بهم فى البصرة وأخذ عنهم فى المدونة ذات الأجزاء الأربعة.

ثانيهما : كتاب «قاموس الشريعة» الـذى يتكون من ٢٩ مجلدًا لمؤلفه العُمانى المسمـى «جميـل بن خميـس السعـدى» والـذى عـاش فى القرن الثـالـث عشر الهجـرى ، واعتمد فيـه على رواة من إبـاضية مصر القـدماء مثـل شعيب بـن المعروف وورد هذا فى المجلد الرابع صـ٣٩٢ .

إذن العلاقات بين مصر وعُمان عـلاقات قديمة وضاربـة فى أعماق التاريخ سواء كان هذا الأمر فى التاريخ القديم أو التاريخ الإسلامى .

«ملامح العلاقات المصرية ـ العُمانية في التاريخ الحديث»

«أ.د. محمد صابر عرب »*

إذا كان التاريخ فى مجمله تجربة إنسانية جديرة بالدراسة والتحليل، فإن العقل العربى قد نظر للتجربة التاريخية من قبيل الترف الثقافى . والمتتبع لتجربة الأوروبيين مع النهضة الحديثة يلاحظ أن التاريخ كان بالنسبة إليهم بمثابة درس عملى عكفوا على قراءته وتحقيق الدروس العلمية منه، لذا فقد تجاوزوا كل الأخطاء التى عطلت العقل الأوروبى خلال العصور الوسطى .

وعلى الجانب العربى فإن العرب لم يستوعبوا التجربة التاريخية جيدًا لدرجة أن تاريخنا الحديث يعد سلسلة من التجارب التاريخية الخاطئة . وعلى الرغم مما يهدد العرب من مخاطر باتت تمثل حقائق مؤكدة، إلا أننا مانزال نتعامل مع هذه التحديات بمنطق لا يتناسب وحجم ما يواجهنا من خطر يكاد يعصف بهويتنا وتاريخنا .

لقد كان معالى السفير عبد الله البوسعيدى بجذوره العربية الأصيلة مدركًا

* أستاذ التاريخ الحديث بجامعة الأزهر.

حاجتنا إلى التواصل التاريخى مقدرًا ما نسميه بـ «أهمية التاريخ الفاعل»، وهو ما يضاعف طموحاتنا فى أن تتولى مؤسسة مسئولة مثل الجامعة العربية القيام بإعداد دراسة علمية جادة عن العلاقات العربية فى التاريخ الحديث .

وسوف نكتشف أن ما بيننا من صلات الدم والقربى والمصالح أعظم بكثير من كل عوامل الفرقة . والتاريخ هنا يقدم قراءة دقيقة لتاريخنا القريب ، وسوف يتضح أن كل الانتصارات التى حققها العرب عبر تاريخهم جاءت ثمار وحدتهم وتفاهمهم ، وأن كل الهزائم التى مزقت شمل أمتنا العربية كانت بسبب فرقتهم واختلافهم لأسباب ضيقة بعضها مذهبى تجاوزه الزمن ، وبعضها سياسى لا يحقق أية مصالح قومية أو إقليمية .

إن إعادة كتابة تاريخ العلاقات العربية يقدم دليلاً واقعيا لما بيننا من أواصر، ولعل درسًا واحدًا كفيل بإعادة الدم فى العروق ، ويكفى أن نقول إن البصرة فى الخمسينيات من القرن الثامن عشر (١٧٥٥) حينما تعرضت لغزو فارسى على عهد كريم خان الذى فرض حصارًا على تلك المدينة العربية كاد أن يودى بحياة أهلها ، مما دفع شيخ قبائل «المنتفق» إلى أن يستنجد بالسيد أحمد بن سعيد ، الذى بعث إليه بأسطول تمكن من كسر الحصار وانسحاب قوات كريم خان ، وفى موقف يعبر عن كل معانى الإخوة العربية قال شيخ قبائل المنتفق (ثامر بن عبد الله السعدون) موجهًا كلامه إلى قائد الأسطول العُمانى «ياخوى نحن سفهاء وأنتم حكماء ، داوونا والمعافى هو الله» .

وإذا كان بعض المؤرخين الأوروبيين قد اعتبر هذا الموقف من جانب السيد أحمد بن سعيد بمثابة حلف عُمانى ـ عثمانى ، إلا أن الحقيقة التاريخية تؤكد عدم قيام أى تحالف إلا إذا كانت نجدة العربى لشقيقه يعد حلفًا بالمعنى الدبلوماسى .

وهكذا يقدم لنا التاريخ العربى نماذج من التعاون والتآزر والنجدة العربية، وكلها تعد بمثابة ملاحم متواصلة أعتقـد أن إبرازها فى إطار العلاقات العربية يعد قيمة تاريخيـة تعمل على التئام الجروح ونسيان التاريخ المثبـط الباعث على الهزيمة.

وعلى ضوء كل ذلك فـإن اختيار موضوع هذه الندوة يعد جـزءًا من التاريخ الفاعـل الذى تفـرضه التحديـات المعاصرة التى تعمـل على الإطاحـة بهويتنا وثقافتنا، بـدعوى التعاون بين كل الشعـوب حيث تذوب الثقافـات وتتلاشى العرقيات والديانات، وهى كلمة حق أريد بها باطل.

والحديث عن العلاقات المصرية ـ العُمانية ينطلق من قاعدة لها عدة محاور:

أولها: أن عُمان ومصر كليهما من الدول القديمة التى أسهمت بدور كبير فى إثراء الحضارة الإنسانية، ويسجل التاريخ أن العلاقات بين مصر وعُمان كانت قائمـة منذ فجر التـاريخ، وأن بعثات التنقيـب فى عُمان قد توصلـت إلى قيام مجتمعات مستقـرة منذ الألف السادس قبـل الميلاد، وأن النحاس الـذى كان يستخرج من عُمان كان مـن بين السلع التى تم تصديرهـا إلى مناطق كثيرة منذ الألف الثالثـة قبل الميلاد، وتتحدث المصـادر القديمة عن المنتجـات العُمانية كاللبـان والعطور، وهما من المواد المستخـدمة فى المعابـد المصرية القديمـة منذ القرن الثالث قبل الميلاد أيضًا.

ثانيها: أن الموقـع الجغرافى قـد أوجد لكـل مـن مصر وعُمان دورًا فريـدًا فى تاريـخ الحضارة الإنسـانية، مما أهلهما للقيـام بجهد حضـارى شغل مسـاحة كانت موضع عناية الباحثين فى تاريخ الحضارات بشكل عام.

ثالثها: وبقدر أهمية الدور الذى قامت به كل من مصر وعُمان، إلا أن بعد المسافة بينهما قد أوجـد حالة من عدم الثبات والاستمـرار فى العلاقات، فبينما

عنيت عُمان بعمقها الإقليمى والآسيوى والإفريقى ، عنيت مصر بدائرة أوسع تمثلت فى شبكة من العلاقات فى دائرة حوض البحر الأبيض المتوسط ، امتدت هذه الدوائر بدرجة أقل أو أكثر لتشمل جميع الأقطار العربية تقريبًا ، ولأسباب تتعلق بالعمقين القومى والإستراتيجى كان وجودها الإفريقى الذى كان مجال حسد وضيق من الدوائر الأوروبية .

لقد حرصت عُمان خلال العصور الإسلامية على أن تحتفظ بشخصيتها ، وعلى الرغم من أنها كانت جزءا مهما فى الدولة الإسلامية ، إلا أنها تحفظت على كثير من التجاوزات التى مورست أحيانا باسم الإسلام ، وانصرف العُمانيون يجوبون العالم الآسيوى منذ فترة مبكرة من قيام الدولة الإسلامية رسلا للثقافتين العربية والإسلامية ، لدرجة أنهم أول من وصل من العرب إلى بلاد الصين مع بداية القرن الثانى الهجرى ، وكانت مدينة «كانتون» تعج بالتجار العُمانيين ، وقد أشارت المصادر إلى أسماء بعضهم ، ومن هؤلاء «أبو عبيدة عبد الله بن القاسم» كما أن أول مسجد بنى فى الصين بناه العُمانيون فى القرن الثالث الهجرى .

وتشير المصادر أيضا إلى أن أهل عُمان أول من وصلوا إلى جزر الهند الشرقية ، وأن شيخا عُمانيا عاش فى بلاد الزابج «سومطرة» واستطاع إقناع حاكمها بالدخول فى الإسلام ، وهو ما يؤكده ابن بطوطة فى رحلته الشهيرة .

وما قام به العُمانيون فى آسيا قاموا بأكثر منه فى إفريقيا ، وإن المثل السواحيلى القائل «إذا دقت الطبول فى زنجبار تراقص الناس طربًا فى البحيرات الاستوائية» لهو دليل على أن العُمانيين قد وجدوا من سواحل إفريقيا الشرقية ، حتى البحيرات الاستوائية ناشرين الحضارة والمعرفة لدرجة أذهلت الرحالة الأوروبيين .

وبينما كانت عُمان تقوم بهذا الدور كانت مصر تواصل رسالتها التاريخية والحضارية، وتشير وثائق الأزهر إلى أن خمسة من الطلاب العُمانيين قد وفدوا على الأزهر ومعهم توصية من أحد الشيوخ العُمانيين فى شرق إفريقيا إلى الشيخ محمد عبده عندما كان يشغل منصب سكرتير المجلس الأعلى للأزهر، وأن ثلاثة منهم قد انتظموا فى الدراسة، واثنين اكتفيا بالاستماع كطلاب غير منتظمين، وقد نصحهما الشيخ محمد عبده بالحضور ضمن حلقات الفقه المقارن، وقد وفر لهم الأزهر الإقامة فى رواق الطلاب اليمنيين.

لقد كانت مصر أول من تنبه لخطورة الغزو البرتغالى مع بداية القرن السادس عشر، وإذا كانت الجغرافيا قد حالت دون تواصل العلاقات المصرية العُمانية حينئذ، إلا أن عمق المشاعر الأخوية والإسلامية قد دفعت بقنصوه الغورى إلى الإبحار عبر المحيط الهندى لمواجهة البرتغاليين على سواحل الهند الغربية، وكان موقف الهنود المسلمين سببًا فى هزيمته فى معركة ديو الشهيرة (١٥٠٩م).

لقد كان من الطبيعى أن يتم التنسيق بين المماليك والنباهنة فى عُمان، إلا أن أوضاع عُمان وقتئذ قد حالت دون ذلك، مما سهل مهمة الغزاة القادمين من البرتغال.

ويعد القرن السادس عشر نقطة تحول خطيرة فى تاريخ المنطقة العربية بأكملها، فلقد كان تسلل البرتغاليين إلى المنطقة العربية مقدمة لحالة الكساد الاقتصادى بسبب سياسة الاحتكار التى مارسها البرتغاليون، مما عطل كل طرق التجارة القديمة والتى كانت بمثابة الشريان الاقتصادى لكل البلاد التى تمر بها، وكانت مصر وعُمان فى مقدمة البلاد التى أُضيرت ضررًا بليغًا، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن ما تعرض له العالم العربى بسبب سيطرة العثمانيين كان بمثابة مقدمة لحالة من التدهور الذى شمل كل مناحى الحياة.

وراحت المنطقة تغط فى نوم عميق حتى نهاية القرن الثامن عشر عندما قدم الفرنسيون إلى مصر، التى استيقظت من نومها لتجد ثلاثة قرون قد مضت، هى عمر الحضارة الأوروبية بكل إنجازاتها، إلا أن عُمان كانت حالة استثنائية، ليس لأن العثمانيين لم يسيطروا عليها، وإنما لأن القدر قد بعث من بين أبنائها من أعاد وحدتها وراح يخوض حروبًا ضارية ضد البرتغاليين، وهو ناصر بن مرشد، الذى أجمع العُمانيون على اختياره إمامًا (١٦٢٤م)، وكلما حقق قدرًا من الانتصارات ضد العدو على السواحل العُمانية راح يخوض حروبًا ضد أنصار التجزئة فى الداخل، وبمضى عشر سنوات كانت عُمان قد أعادت وحدتها.

ولم يمض أكثر من نصف قرن حتى كان العُمانيون قد أعادوا سيطرتهم على الخليج العربى، وراحوا يتعقبون البرتغاليين فى المحيط الهندى، وكلما أجهزوا على واحدة من قلاعهم أخذوا يتعقبونهم فى مكان آخر، حتى أصبح الأسطول العُمانى قوة عسكرية يخشى بأسها من جانب القوى الأوروبية فى المنطقة.

«مصر وعُمان فى عهدى محمد على والسيد سعيد بن سلطان»

لعل من قبيل المصادفة أن تشهد مصر وعُمان تحولاً خطيرًا مع بدايات القرن التاسع عشر، فى مصر كانت الحملة الفرنسية (١٧٩٨ ــ ١٨٠١م) بمثابة كابوس أيقظ المصريين من ثبات عميق، وإذا كانت الحملة قد تركت آثارها على كل مناحى الحياة، إلا أن أخطر ما حققته هو ظهور محمد على الذى اختاره المصريون حاكمًا عليهم ولأول مرة بعد تعاقب الدول الحاكمة عليهم .

وفى عُمان كان اختيار السيد سعيد بن سلطان بمثابة نقطة تحول جديدة، حيث كان لديه من الذكاء وعمق النظر ما جعل عُمان موضع احترام المجتمع الدولى وقتئذ، وبقدر ما كان محمد على يملك من طموحات فاقت أحيانا إمكانات مصر، كان سعيد بن سلطان لديه نفس الطموحات .

لقد كان وصول محمد على إلى سواحل الخليج من أبرز أحداث النصف الأول من القرن التاسع عشر سواء على المستوى الإقليمى أو على المستوى الدولى، حيث أعادت بريطانيا النظر فى سياستها فى المنطقة، على ضوء أهداف محمد على، وراحت تفكر جديا فى فرض حمايتها على منطقة الخليج .

وإذا كانت بريطانيا لم تلتفت لخطورة الوجود المصرى فى الفترة من عام ١٨١١ وحتى عام ١٨١٩م، بل إن بريطانيا قد تعاونت مع محمد على فى عملياته العسكرية هناك، إلا أن الموقف البريطانى ما لبث أن تغير منذ عام ١٨١٩، حيث راحت الدبلوماسية البريطانية تعيد حساباتها تقديرًا لخطورة الوجود فى منطقة تعد من أهم المناطق أهمية بالنسبة للمصالح البريطانية .

واللافت للنظر أن السيد سعيد بن سلطان كان فى مقدمة القوى التى رحبت بالوجود المصرى لدرجة أنه طلب من طوسون باشا إيجاد تحالف بين مصر وعُمان .

ومع تردد محمد على فى قيام هذا التحالف إدراكًا منه لحساسية الموقف البريطانى إلا أن التعاون مع السيد سعيد بن سلطان قد ظهر منذ الوهلة الأولى ، حيث بادرت عُمان بإمداد طوسون باشا بعشرين سفينة لنقل الإمدادات والمؤن إلى الجيش المصرى .

وعلى أثر انتصارات إبراهيم باشا (١٨١٨م) رأت بريطانيا أن تنتهز تلك الفرصة للإجهاز على القواسم ، وكانت الخطة البريطانية تعتمد على التنسيق بين السيد سعيد ومحمد على للقيام بعمل مشترك تحقيقًا للأمن البحرى فى الخليج ، ودعمًا لهذا الاتجاه بادرت الإدارة البريطانية فى الهند بإرسال مندوب للقاء كل من إبراهيم باشا وسعيد بن سلطان .

وإذا كانت الخطة البريطانية باءت بالفشل ولم يتحقق التحالف المصرى - العُمانى ، إلا أن العلاقات بقيت ودية بين الحاكمين ، وأن السيد سعيد قد وفد حاجا على مكة عام ١٨٢٤ ، واستقبل من والى جدة استقبالاً كبيرًا تقديرًا للدور الكبير الذى قام به فى مساندة محمد على .

وتقديرًا للحقيقة التاريخية فإن العلاقات بين محمد على والسيد سعيد بن سلطان قد أخذت تتعرض للعديد من العواصف ، وشهدت الفترة من عام١٨٣٣ وحتى عام ١٨٤٠م أشد المواقف تحرجا .

وكان من المؤكد أن تتصادم العلاقات العُمانية ـ المصرية ، فطموحات السيد سعيد ومحمد على كانت تتجاوز مجرد السياسة المعلنة ، فى الوقت الذى لعبت

فيه بريطانيا الدور الأكبر فى التعجيل بهذا التصادم، خصوصًا أن محمد على كانت لديه أطماع واضحة فى المنطقة، وكان يسعى جاهدًا للسيطرة على منطقة الخليج برمتها، وهو ما أدركه السيد سعيد بن سلطان، ولم يكن فى حاجة إلى أن تستلفت بريطانيا نظره إلى هذه المطامع.

لقد أُتيحت الفرصة لخورشيد باشا ضم بعض المقاطعات التابعة للسيد سعيد منتهزًا التفكك الذى كانت تعانيه عُمان، وخصوصًا حينما انتقل عاهلها إلى الإقامة الدائمة فى زنجبار، مما أتاح لحمود بن عزان الاستقلال بصحار (١٨٣٩م).

وراحت بريطانيا تشيع فى الدوائر العُمانية بأن محمد على يخطط للسيطرة على ميناء مسقط لأهميته الإستراتيجية، وهو ما يفسر إبرام معاهدة ١٨٣٩ بين السيد سعيد وحمود بن عزان، والتى أبرمت بدعم بريطانى بهدف توحيد الجبهة العُمانية.

وإذا كانت علاقات مصر وعُمان فى عهد محمد على قد مرت بفترات تحالف ووفاق، إلا أنها مرت أيضا بفترات تصادم دبلوماسى كان تعبيرًا عن طموحات الحاكمين الكبيرين محمد على وسعيد بن سلطان، إلا أن الأمور لم تصل إلى حد التصادم العسكرى.

وبينما انتهت كل مشروعات محمد على باتفاق ١٨٤٠ ــ ١٨٤١ فإن عُمان هى الأخرى قد واجهت العديد من المشاكل سواء فى قسمها الآسيوى أو قسمها الإفريقى، الأول بحكم الاضطرابات التى لم تتوقف، والثانى بحكم التنافس الدولى.

«الدور العُمانى ـ المصرى فى إفريقيا»

لقـد استقـر السيـد سعيـد بـن سلطان فى شرق إفـريقيـا ابتـداء مـن عـام ١٨٣٢ ، واتخذ من زنجبار مقرًا لحكمه ، وانتقـل معه الكثير من التجار العرب والهنود ، وتأسست المراكز التجارية عبر اليابس الإفريقى ، ومع منتصف القرن التاسـع عشر كان العُمانيـون قد وصلـوا إلى البحيرات الاستوائيـة ، وراح يتردد المثل السواحيلى الشائع وقتئذ «إذا دقت الطبول فى زنجبـار تراقص الناس طربًا فى البحيرات الاستوائية» .

وفى الوقت الذى كانت فيه عُمان تقيـم المراكز التجارية فى شرق إفريقيا وما تبـع ذلك مـن نمو اقتصـادى واجتماعى ، راح السيـد سعيد يشكـل ملامـح إمبراطورية كبيرة بشقيها الآسيوى والإفريقى ، وفى هذا الوقت كانت مصر هى الأخرى قـد أخذت تتوسـع فى السودان وسـواحل البحر الأحمر ووصـل النفوذ المصرى إلى سواحل الصومال .

وكان الخديـوى إسماعيل ١٨٦٣ ــ ١٨٧٩ يقدر أهميـة العمق الإفـريقى ، الذى رآه بمثـابة قاعـدة إستراتيجية ، وكذلك كـانت زنجبار فى عهـد خليفتى السيد سعيد (ماجد وبرغش) ، وكـان مقدرًا لهاتين الدولتين العربيتين مواصلة نشر الحضارة والتمـدين فى القـارة الإفريقيـة ، وكان مـن المفترض قيام تنسيـق مشترك بينهما ، ليـس بسبب المهمـة الحضـارية التـى يقـومان بها فقـط ، وإنما بسبب الأطماع الأجنبيـة التى أدركـت خطورة الـوجود المصرى ــ العُمانى على مصالحها .

لم تكن تلك القوى غافلة عـن طبيعة المهمة التى تقوم بها مصر وعُمان ، لذا مضت مخططاتها نحو تحقيق هدفين :

أولهما: الحيلولة دون تعاون هاتين القوتين العربيتين.

ثانيهما: العمل على إضعاف هاتين القوتين بوسائل عديدة.

ووفقًا للمخطط البريطانى فلقد كان من الضرورى فصل الممتلكات العُمانية فى إفريقيا عنها فى آسيا بمجرد وفاة السيد سعيد بن سلطان، ولم يقف الأمر عند فصل القسم الإفريقى عن القسم الآسيوى، وإنما أخذت الدول الأوروبية وفى مقدمتها بريطانيا وألمانيا تتدخل فى شئون القسم الإفريقى، وخصوصًا بعد أن أسس الألمان ما عُرف بشركة شرق إفريقيا الألمانية، التى راحت تنازع زنجبار من داخل إفريقيا، وتدعى لنفسها حقوقًا تتعارض مع السيادة العُمانية.

ونظرًا لحجم النشاط المتزايد فى المناطق الداخلية فقد خشيت بريطانيا على نفوذها، لذا اتفقت الدولتان ـ ألمانيا وإنجلترا ـ فى عام ١٨٨٦ على تشكيل لجنة لتقسيم المقاطعات الداخلية من سلطنة زنجبار فيما بينهما، واتفقتا على أن تقتصر حدود زنجبار فقط على جزيرتى بمبا وزنجبار وبعض الجزر الصغيرة المجاورة لهما، إضافة إلى شريط ساحلى يمتد عشرة أميال على طول الساحل المواجه لهاتين الجزيرتين، وبعمق فى الداخل لا يتجاوز ثلاثمائة ميل.

وبهذا التقسيم سيطرت ألمانيا وبريطانيا على ممتلكات زنجبار، كما مكنت إنجلترا إيطاليا من السيطرة على سواحل الصومال، التى كانت تتبع كلا من مصر وزنجبار.

أما مصر فقد نجحت السياسة البريطانية فى إرباكها سياسيا واقتصاديا، والجدير بالذكر أن مصر قد وصلت إلى أقصى حد لها من الاتساع فى عهد الخديوى إسماعيل، إلا أن الأزمة المالية من جانب، والموقف الدولى من جانب آخر، ومشاكل أخرى كثيرة، كل ذلك عجل بنهاية الوجود المصرى فى تلك

المناطق وخصوصًا عقب الثورة العرابية (١٨٨١م)، والثورة المهدية (١٨٨٥م)، وكان احتلال إنجلترا لمصر (١٨٨٢م) بداية لسلسلة من الإجراءات فى مقدمتها سحب الجيش المصرى من تلك المناطق، حيث تصبح أرضًا لا صاحب لها.

لقد أدركت بريطانيا وألمانيا خطورة وجود هاتين القوتين العربيتين الإفريقيتين ـ مصر وزنجبار ـ وما يمكن أن يشكلا من عقبات فى سبيل المصالح الغربية، لذا فقد لعبت بريطانيا الدور الأساسى بهدف عدم قيام تعاون بين هاتين القوتين العربيتين.

وتشير الوثائق المصرية إلى أن الخديوى إسماعيل قد تسلم رسالة من السلطان ماجد بن سعيد (١٨٦٦م) حملها قائد إحدى السفن المصرية أثناء توقفه فى زنجبار، وقد التقى السلطان ماجد بطاقم السفينة المصرية وقدم إليهم بعض الهدايا، وأكرم إقامتهم، وقام الخديوى إسماعيل بالرد على تلك الرسالة بأخرى ودية.

وفى عهد السلطان برغش بن سعيد وصلت إحدى البعثات المصرية عن طريق أوغندا إلى زنجبار، وهناك استقبلت بترحاب بالغ، وأظهر السكان العرب ميلهم نحو أشقائهم المصريين، ويبدو أن قائد هذه البعثة كان مكلفًا بنقل رسالة شفوية إلى السلطان برغش الذى أبدى ميله الشديد نحو مصر، وأبدى استعداده للتعاون مع الحكومة المصرية، واتفق مع القائد المصرى على مشروع معاهدة من ست مواد تضمنت شكل العلاقة المقترحة ونظام الحكم وحاجة زنجبار إلى موظفين مصريين، وكذا تدريب الجند والاستفادة من الإدارة المصرية فى إنشاء نظارات فى زنجبار على نمط النظارات فى مصر.

وأثناء مرور السلطان برغش فى قناة السويس عند سفره إلى إنجلترا

(١٨٧٥م) لزيارة الملكة فيكتوريا استضافه الخديوى إسماعيل فى مصر عدة أيام عند عودته ، وقد تضمنت الزيارة بعض التقاليد الدبلوماسية كتبادل الهدايا وزيارة المعالم المصرية ، وحضور حفل وفاء النيل مع الخديوى إسماعيل .

وعمومًا ، فإن العلاقات بين مصر وزنجبار خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ماتزال فى حاجة إلى مزيد من الدراسة ، وخصوصًا أن الدور الذى لعبته الدولتان كان متشابهًا وكانت إسهاماتهما واضحة فيما يتعلق بنشر الحضارة فى أواسط القارة الإفريقية ، كما أن المصير الذى آلت إليه ممتلكات هاتين الدولتين كان متشابهًا أيضًا ، من حيث وقوعهما تحت السيطرة الاستعمارية ، وانفسح المجال أمام الدول الاستعمارية لاجتياح القارة وتقسيمها بين القوى الاستعمارية التى عطلت تقدمها ورقيها وحالت دون انفتاحها على الحضارة الحديثة ، ولعل ما تعانيه إفريقيا من مشكلات سياسية واجتماعية واقتصادية يعد نتاجًا طبيعيا لهذا التاريخ الطويل من النهب الاستعمارى منذ فترة مبكرة من التاريخ الحديث .

«إطار العلاقات العُمانية ـ المصرية المعاصرة»

أ. د. يونان لبيب رزق*

أشكر معالى السفير لأنه يشاركنا فى الجامعات المصرية بعض همها، فى الجامعات المصرية كنا معنيين فى الخمسينيات والستينيات بتاريخ الدول العربية، ولم نكن معنيين بنفس الدرجة بتاريخ العلاقات العربية. لأننا كنا نعتبرها من الأمور التى لا مجال للنقاش فيها وأنها شىء ثابت وراسخ، ولكن تطور الأحداث سواء خلال الستينيات والسبعينيات والتى وصلت ذروتها الدرامية بالغزو العراقى للكويت عام ١٩٩٠ جعل هذه العلاقات تمثل شكلا من أشكال الكوميديا السوداء، وبالتالى أصبحت هما، وهذا الهم علينا مواجهته والتحدث فيه، ومن ثم فإن الدعوة الكريمة لمعالى السفير لهذه الجلسة أراها مشاركة فى الهم أكثر ما تكون شيئا آخر.

من موقع المتفرجين لاحظت أن العلاقات العُمانية ـ المصرية فيما أشار إليه البعض تتسم بقدر من الود، فقد رفضت السلطنة قطع علاقاتها مع مصر بعد معاهدة السلام عام ١٩٧٩م، وقامت بدور متميز وهام فى إعادة بناء الجسور بين مصر والدول العربية. فى الوقت الذى استعانت فيه على نطاق طيب

* أستاذ التاريخ الحديث بجامعة عين شمس.

بالخبراء المصريين فى سائر الأنشطة، وخاصة فى النشاط الثقافى. أُضيف إلى ذلك أن للمراقب أن يلاحظ أن العلاقات المصرية العُمانية الحالية تتسم بأكبر قدر من الاستقرار أكثر من أية علاقات مصرية مع دول عربية، بمعنى أنها ليست عرضة للتقلبات بالشكل الذى حدث كثيرا فى علاقات مصر بسائر الدول العربية منذ تولى جلالة السلطان قابوس مقاليد الحكم فى السلطنة.

وأزعم أن ما أحدث هذه الميزات فى العلاقات بين دولتين عربيتين يعتبر جملة من القواسم المشتركة، وبعض هذه القواسم ألمح إليها الصديقان د. صابر، د. جمال.

د. صابر عرب أشار إلى ما أسماه التشابه الجغرافى، وقال «النظائر الجغرافية» وأن مصر وعُمان نظيرتان جغرافيًّا، فالدولتان تقعان فى مواقع حاكمة، مصر على قناة السويس وعُمان تتحكم فى مضيق هرمز.

والمشكلة أن هذه النظائر الجغرافية لها إيجابياتها كما أن لها فى ذات الوقت سلبياتها، الإيجابيات أنها قد توظف هذا الموقع لصالحها، والسلبيات أنها قد تشعل مطامع الآخرين، ومن ثم فإنه فى نفس الوقت والذى وصفه د. جمال بأنه لم يكن ملائما لقيام البلدين بدور سواء فى إفريقيا أو الجزيرة العربية. بالنسبة لعُمان نقول إنها ليست قضية الوقت غير المناسب، بل الموقع الحاكم بكل مضاعفاته الإيجابية والسلبية.

هناك قاسم مشترك آخر وهو العلاقة مع إفريقيا، فمصر ظلت تيمم وجهها جنوبًا للسودان، وعُمان ظلت تيمم وجهها غربًا إلى شرق إفريقيا بمعنى آخر أنه كان للدولتين فى القرن ١٩ ما يمكن تسميته بالسياسة الإفريقية أو المسألة الإفريقية وكان لهذه المسألة أيضا مردوداتها.

لقد شد انتباهى فى مراجعتى أعـداد صحيفة الأهرام القديمة التى أستخرج منها مقالاً أسبـوعيا فى الجريدة العريقـة . . . شد انتباهى فى هـذه الأعداد أن لجريدتنا فى ذلـك الوقت أوائل القرن العشريـن كان هناك مُكاتـب خاص فى مسقـط . صحيح أنـه كـان للأهـرام مُكـاتبون عـديـدون فى الشام ، لنـدن ، باريس ، لكـن فى شبه الجزيرة العربيـة كان ممثل الأهرام مُكـاتبها فى «مسقط» والأهـرام لم يكن يفصـح عن أسماء مُكـاتبيه إنما أحيـانـا يقول لـ «مُكاتبنـا» ، وأحيانا يقول «مُكاتبنا الخصوصى» .

أتصـور أن اختيار الأهـرام ــ وكانـت أكثـر الجرائد المصرية نظـامًـا ـ كـان مُكاتبوها المنتشرون فى العالم العربى أكثر من مُكاتبى أى جريدة مصرية أخرى مهما بلغـت من الانتشـار، وللمسـألة دلالـة شديـدة وهـى أن الموقع الحاكـم لمسقط ، إنما دفـع الأهرام لاختيارها دون أى مكـان آخر ليس فقط ليرسـل هذا المُكاتب بأخبار عُمان ، وإنما ليبعث بأخبار شبه الجزيرة العربية كلها (الكويت ـ السعودية . . . إلخ) .

إذن مسقط كانت مركزا لهذه الكتلة الجغرافية وهى شبه الجزيرة العربية وهذه واحدة .

الثانية : أن مُكـاتب الجريدة كان فى ذات الوقت وكيـلاً لها ، أى موزعًا لها ، وبالتالى كان يتـم اختيار البقعة التى يمكن توزيع الجريدة فيهـا ، ومن ثم فإن اختيار مسقـط على وجه التحـديد يعنـى أن هناك قـاعدة مـن القراء يـدفعون اشتراكات حتى يحصلوا على هذه الجريدة .

الثـالثـة : معنـى أن الأهـرام بشكـل شبـه منتظـم تنشر تقـاريـر مُكـاتبهـا الخصـوصـى هـذا فى صفحتها الأولى ، أن هنـاك جمهـرة مـن المصريين معنيـة بمتابعة أخبار هذا البلد .

ومع الاستمرار فى فهم هـذه الأطروحة، مسألة القواسـم المشتركة، نجد أن أغلب هـذه التقاريـر كانـت متصلة بتلـك القواسـم فى تلك الفترة التـاريخية بمعنى أن البلدين كانا يتعرضان لهجمـة استعمارية وكانت الأهرام معادية لهذه الهجمة، بالتـالى كان مُكاتبها يكتـب بشكل شبه منتظم ضـد محاولات الهيمنة الاستعمارية فى عُمان، فمثلاً فى الصفحة الأولى مـن عدد الأهرام ٢٤ أغسطس ١٩٠١ يقول مُكـاتب الأهـرام فى مسقط « ولا يخفى أن مستر تـوكس يتـألم تألمًا شديدًا لعجزه حتـى الآن عن إتيان عمل عظيم فى بلاد العـرب ويحلم كل ليلة بضم البلدان وبسط الحمايات ولا ينعم له بـال إلا إذا جنى ما جناه زملاؤه من الفوز على الشواطئ الإفريقية الشرقية».

هذه القواسـم صنعت صراعًا استعماريا بين القـوى الاستعمارية الكبرى فى ذلك الـوقت، وكانـت الدولتان الاستعماريتان المعـروفتان فى ذلك الـوقت هما إنجلترا وفـرنسا وكنـا نضيف إليهما روسيـا، وقد عنـى الأهرام والمصريـون بهذا الصراع، وكان المُكاتب الخصوصى للجريـدة فى عُمان معنيا عناية شديدة بهذا «الصراع الإنجليـزى الفـرنسـى» فهو يقـول فى عـدد ٢٣/ ١/ ١٩٠١ «وكـأن الإنجليزى لم يكفـه عزل المسيسية «بـريون» من «بـوشهر» حتى عـزل المسيسية «أتافى» قنصل فرنسا فى مسقط فلم يبق إلا قنصلها فى بغداد».

هذا الكلام يـؤكد أن هذه السمة التـى نتجت عن الموقع الحاكـم من صراع بين الـدولتين الاستعماريتين فى مصر حدث مثلهـا فى عُمان، ومـا حدث كـان مثار اهتمام ومتابعة مـن جانب المصريين، وهذا لون من ألـوان العلاقات التى نغفل كثيرًا عنهـا، نتصور أن العلاقـات تكون بين الحكـومات لكن عـلاقات الشعوب تلعب دورا غاية فى الأهمية.

أيضًا هناك مسألة الصراع الإنجليزى ـ العثمانى، فمصر عرفت منذ الأعوام ١٨٨٢ ـ ١٩١٤ شكـلاً من الصراع المحتدم بين إنجلترا بصفتها القـوة الفعلية

وبين الدولة العثمانية بصفتها السلطة الشرعية أو القانونية ، المُكاتب الخصوصى اهتم بهذه الظاهرة فى الخليج ، وكان يكتب بانتظام عن الصراع ، وكانت الأهرام منحازة للدولة العثمانية وهو كان يكتب عن الصراع ، وبعث بعدد من التقارير حول المعاهدة المشهورة التى عقدت بين إنجلترا والكويت ١٨٩٩ ، لكن الذى بعث بها ليس مراسل جريدة مصرية فى الكويت بل مراسل الأهرام فى مسقط .

هذا المراسل اهتم بالروس ودورهم ويحكى رواية طريفة « فى ١١ ديسمبر ١٩٠١ أبرق الكهربائية من إحدى السفن الحربية بارقة أمل ونجاة لأنه فى تلك الليلة وصلت مياه مسقط سفينة حربية فأرسلت على البلد أنوارها الكهربائية ، فدهش الناس ولم يعرفوا ما هى ، وفى الصباح تبين أنها سفينة حربية روسية ذات أربع مداخن وعدد جنودها ٥٥٠ جنديا وهى مسلحة بـ ٤٣ مدفعا وتجتاز فى الساعة ٥ , ٢٤ ميل ، فنزل الكومندان إلى البر وذهب مباشرة إلى دار القنصلية الفرنسية فمكث فيها غير قليل ، ثم عاد للسفينة ورد له القنصل الفرنسى الزيارة وظل معه يتباحثان ساعات ، وفى المساء ذهب القنصل والكومندان وضباط السفينة للسلام على أمير البلاد السيد فيصل بن تركى ، ورد الأمير الزيارة للكومندان مع قنصل فرنسا صباح اليوم التالى . . » إلخ .

ومثل هذا كان الجو فى مصر، وبالتالى كان طبيعيا أن يهتم المصريون بمتابعة هذه التقارير المطولة ، وقد تساءلت ما الذى دفع الجريدة لتعيين مُكاتب لها فى مسقط وإفساح صدرها لتقاريره المطولة والذى كان لا يحظى بهذا الإفساح مُكاتبون فى بلاد أخرى أهم .

فى تقديرى أن كل ذلك يعود إلى القواسم المشتركة ، وهى القواسم التى تخلق فى تاريخنا الآن فى العلاقات المصرية ـ العُثمانية شكلاً من الاستقرار نرجو أن يدوم .

«المداخـــلات»

«أ.د. أحمد عفيفى ..»

أعود لما قالـه د. رجب عن جذور العـلاقات العُمانية المصرية ، وقـد عمق البحث فى العـلاقات التجاريـة والعلمية ، وركـز على وجود العُمانيين فى مصر ودورهـم الفاعـل . . ماذا عـن الجانـب الآخر أى المصريين الـذين ذهبـوا إلى عُمان ، نحن نعلم أنه فى منطقة «صلالة» كان هناك ميناء كبير يستقبل المراكب المصرية فى الحركة التجارية ، وهناك ثلاث مـدن تقريبًا تضم بعض الآثار التى هى قريبة من آثار الفراعنة من ضمنها مدينة «البليد» ماذا عن السلع التى كان المصريون يذهبون بها إلى عُمان؟

«أ.د. مصطفى علوى» *

أتحدث عـن الجغرافيـا كقاسـم مشترك بين مصر وعُمان وأثـرها على طبيعـة التواصل بين البلدين . . لاشك أن الجغرافيا ملمح مشترك فى علاقات البلدين

* أستاذ العلوم السياسية بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية ـ جامعة القاهرة .

من حيث كونهما دولتين بحريتين تطلان على سواحل طويلة وتقعان فى مواقع حاكمة، ويمكن أن يؤهلهما ذلك لتصبحا قوى بحرية إقليمية مهمة، ولاشك أيضا أن هناك ملمحًا جغرافيًّا آخر يجمعهما ويتمثل فى إحساس البلدين بقدر ملحوظ من القوة الجيوإستراتيجية فى الإقليم المباشر.

ولعل هذا هو أحد العوامل التى تفسر الموقف العُمانى المتفرد فى شبه الجزيرة العربية من اتفاقات كامب ديفيد ثم معاهدة السلام المصرية - الإسرائيلية، حيث إن هذا الإحساس بالمنعة الإستراتيجية والبعد عن مؤثرات جيوإستراتيجية قادمة من الدول الرافضة للتحرك السلامى المصرى آنذاك هو أحد العوامل التى تفسر الموقف العُمانى، وبالتالى التقارب العُمانى - المصرى فى ذلك الوقت.

لكننى لا أود الذهاب إلى مدى بعيد فى تأكيد أهمية العامل الجغرافى لأنه لو كان العامل الأهم ما كانت العلاقات المصرية - العُمانية فى بعض مراحلها شهدت تلك الدرجة من التنافس والصراع اللذين نعرفهما جميعًا، ومن ثم فينبغى البحث عن عوامل أخرى بجانب العامل الجغرافى تفسر طبيعة العلاقات الثنائية بين مصر وعُمان.

يأتى ضمن هذه العوامل التفكير السياسى البراجماتى للقيادتين السياسيتين فى البلدين، فضلاً عن وثوق العلاقة الشخصية لهاتين القيادتين كعامل أساسى حاكم فى تشكيل طبيعة العلاقة السياسية بين مصر وعُمان.

أيضًا يأتى عامل تاريخى يتعلق بالتاريخ الحضارى الثقافى للبلدين، فكلاهما خلال القرون الماضية استطاع أن يذهب خارج حدوده ويشكل نوعًا من التمدد الثقافى والحضارى خارج حدوده، وهى سمة رئيسية من سمات

التشابه فى وضعية البلدين تدفع نحو التجانس فيما لو قورنت فى العلاقات بين أيهما ودول أخرى .

هناك عامل ثالث يتمثل فى طبيعة التركيب الديموجرافى الخاص بسلطنة عُمان إذا ما قورنت بغالبية الدول العربية الخليجية الأخرى ، فهناك قدر عال من التجانس فى الهيكل السكانى لسلطنة عُمان ربما يكون أكبر منه فى كثير من الدول الخليجية وانعكاس ذلك على توجهات السياسة الخارجية وأنه يخلص هذه التوجهات من قدر كبير من المؤثرات غير المحلية ، التى تترتب على التركيبة السكانية التى يغلب فيها العنصر غير العربى على العنصر العربى .

«أ. خلفان بن محمد المنذرى» *

البحار أحمد بن ماجد ، من أهم ما يذكر له أنه أرشد البحار البرتغالى «دى جاما» نحو الهند ، ويسجل له ذلك . . ولكن لطبيعة العمل البحرى وأنه يرتبط بالتجارة . . هل كان لهذا الإرشاد أثر سلبى على مصر باعتبار أن بعض الكتاب اعتبروه كذلك؟

«التعقيبات»

«أ.د. رجب عبد الحليم ..»

د . أحمد عفيفى تساءل عن السلع التى يذهب بها المصريون إلى عُمان ، لأننا تحدثنا عن السلع التى جاءت من عُمان مثل البخور، المر وخلافه . . .

---

* طالب دراسات عليا عُمانى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة .

الموقع الحاكم لمصر كان يؤدى بوصول بعض السلع المصرية والأوروبية عن طريق مصر إلى سلطنة عُمان، وكانت هناك طرق برية وبحرية تربط بين البلدين، الطريق البرى الممتد من مسقط ويتجه غربًا إلى عدن ويصعد شمالاً إلى جدة، وكانت السفن المصرية تأتى إلى جدة أو عدن ببعض السلع المصرية مثل المنسوجات الأوروبية التى كانت تصل إلى ميناء الإسكندرية وميناء القلزم «السويس»، هناك طريق آخر يتجه من الشمال حتى الكويت «كاظمة» ويتجه للشام وفلسطين وسيناء ومصر وبالعكس.

إذن هناك طرق ربطت بين عُمان ومصر سواء فى التاريخ القديم أو العصور الإسلامية.

بالنسبة لأحمد بن ماجد نقول هناك بحوث تناولت الموضوع وذكرت أن ابن ماجد لم يكن هو المرشد للبرتغاليين فى الوصول للهند، كان هناك مرشد هندى فى الساحل الشرقى لإفريقيا يسمى «كانا كا»، والهنود كانوا موجودين فى هذه المنطقة من شبه القارة الإفريقية منذ العصور الإسلامية الأولى، وكانوا تجارًا وهذا المرشد هو الذى أرشد البرتغاليين، ومؤلفات أحمد بن ماجد تنفى عنه الصفات التى قيلت فى هذا المرشد وأنه كان يشرب الخمر.. إلخ.

«أ.د. جمال زكريا قاسم ..»

وأخيرًا، يسعدنى دعوة معالى السفير ليختتم الجلسة كما بدأها فليتفضل.

«كلمة الختام»

«للسيد: عبد الله بن حمد بن سيف البوسعيدى»

شكرًا للأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم لإدارته هذه الحلقة وللأساتذة الكرام . . د. يونان لبيب رزق، د. رجب عبد الحليم، د. محمد صابر عرب على بحوثهم القيمة التى استفدنا منها كثيرًا، وأقدم لهم خالص الشكر لاقتطاع جزء من وقتهم الثمين لإنارتنا وإفادتنا بجزء من التواصل الحضارى بين مصر وعُمان . . هذين البلدين العربيين الشقيقين، ونأمل أن يكون لهذا الصالون ندوات أخرى فى المستقبل، تتحدث عن تواصل عربى أيًا كان موقعه فى المشرق أو المغرب .

شكرًا للحضور الكريم، وأستطيع القول بأن الحلقة الرابعة لهذا الصالون هى مسك الختام للموسم الثقافى للعام الحالى ٩٦/ ٩٧ . . وسعيد بأن أقول : « إننا غرسنا شجرة التواصل الثقافى بين أبناء الأمة العربية فى هذا البلد الطيب، وفى عاصمة الثقافة والعلم، غرسنا الشجرة فى أكتوبر من العام الماضى وها نحن نقطف الثمرة الأولى لهذه الشجرة، وسنقطف ثمارها سنويا لا موسميا، أى على مدار العام إن شاء الله» .

الفهـــرس

الصفحة

رقم الإيداع ٩٨/١١٩٣٠
الترقيم الدولى 3 - 0495 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى - ت:٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)